كلمات

في الاخلاق

للعالمين الفاضلين المرحومين

ابن حزم الاندلسي وقاسم بك امين المصري

المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية

المصرية سابقاً

حقوق الطبع محفوظه

ثمنه ٨ قروش صاغ

* يطلب من علي افندي محمود الخطاب *

الكتبي الشهير بجوار جامع الشيخ

بشارع الميدان بالاسكندرية

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل لنا من الظلمات مخرجاً وهدانا الى شمس الحقيقة الزاهره وارسل رسله لتهذيب الاخلاق وتطهير النفوس لكي ترتقي الانسانية الى اوج كمالها ولتقوم من نومها العميق لتبديد ظلمة الجهل . ولكيلا يكون للناس على الله حجة جعل العلماء ورثة الانبياء يخدمون الانسانية ابتغاء مرضاة الله في كل زمان ومكان (فسلكوا المسالك الحميده واودعوا الكتب حسنات افكارهم فصارت حكماً غاليـة جعلوها صدقة في قول معروف لفقراء العلم)

ولقد كان لي من الحظ الاوفر ان تصفحت كلمات ابن حزم فاتخذتها لي سميراً وصرت كلما سنحت لي فسحة من الوقت اتردد على مطالعة مقالة الحكيم وانا شديد الاعجاب بهذا الرجل وجراءته في تحري الحقيقة فعزمت على طبع كلماته ليكون لي

يد في نشر افكار حكيمنا الشرقي الى ان جمعتني الظروف يوماً بادیبين فاضلين فخطر لي ان اخطرهما بعزمي على طبع حكم ابن حزم فارتاحا واظهرا لي الرغبة في ذلك ثم القيتي احدهما الى كلمات النابغة الحكيم المرحوم قاسم بك امين وقال لي في سياق حديثه ان كلمات ابن حزم على مكانة متينة من الحزم وقاسم امين ليس باقل منه وحبذا لو جمعتهما في كتاب واحد فوقع عندي ذلك موقع الاستحسان ولكني ارجأت ذلك حتى اقرأ كلمات قاسم وكنت اسمع من ألسنة الناس ان قاسماً رجل غير مصلح ولكن حالما قرأت كلماته ذهب الغشاء عن بصري فرأيته رجلاً ابرزته الصدف في العالم ليكون كالحكماء اسلافه · بزغت شمسه المنيره في القرن الرابع عشر فكان سراجاً يهتدي بنوره اولو الالباب وليس قاسم بالرجل الصغير فينكر بل هو ذلك الحكيم الذي ظهر على مسرح الحياة ممثلاً الحقيقه بمعناها حتى نزل الستار بانقضاض تمثيله فرجع هادئاً مستريحاً

رحمه الله رحمة واسعة

علي محمود

الخطاب

﴿ رب يسر يا كريم ﴾

قال ابو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الفقيه الأندلسي رحمه الله . الحمد لله على عظيم مننه وصلى الله على محمد عبده وخاتم انبيائه ورسله . وأبرأ اليه تعالى من الحول والقوة . وأستعينه على كل ما يعصم في الدنيا من جميع المخاوف والمكاره . ويخلص في الاخرى من كل هول وضيق (اما بعد) فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى بمرور الايام وتعاقب الاحوال بما منحني عز وجل من التهمم بتصاريف الزمان والاشراف على احواله حتى انفقت في ذلك أكثر عمري وآثرت تقييد ذلك بالمطالعه له والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل اليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فضل المال وذممت كل ما سبرت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله تعالى به من يشاء من عباده ممن يصل اليه ما التعبت فيه نفسي واجهدتها فيه واطلت فيه

فكري فيأخذه عفواً وأهديته اليه هنيئاً فيكون ذلك افضل له من كنوز المال وعقد الاملاك اذا تدبره و يسره الله تعالى لاستعماله وانا راج في ذلك من الله تعالى اعظم الاجر لنيتي في نفع عباده واصلاح ما فسد من اخلاقهم ومداواة علل نفوسهم و بالله تعالى استعين

(فصل في مداواة النفوس واصلاح الاخلاق الذميمة)

لذة العاقل بتميزه ولذة العالم بعلمه ولذة الحكيم بحكمته ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده اعظم من لذة الاكل باكله والشارب بشربه والواطئ بوطئه والكاسب بكسبه واللاعب بلعبه والآمر بأمره و برهان ذلك ان الحكيم والعاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سمينا كما يجدها المجتهد فيها ويحسونها كما يحسها المقبل عليها وانما يحكم في الشيئين من عرفهما لامن عرف احدهما ولم يعرف الآخر . اذا تعقبت الامور كلها فسدت عليك وانتهت في اخذ فكرتك باضمحلال جميع احوال الدنيا الى ان الحقيقة انما هي

العمل للآخرة فقط لان كل امل ظهرت في عقباه حزن اما بذهابه عنك واما بذهابك عنه ولا بد من احد هذين السبيلين الا العمل لله عز وجل فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل · اما العاجل فقلة الهم بما يهم به الناس وانك معظم من الصديق والعدو · واما في الآجل فالجنة · تطلبت غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم اجده الا واحداً وهو طرد الهم فلما تدبرته علمت ان الناس كلهم لم يستووا في استحسانه فقط · ولا في طلبه فقط · ولكن رأيتهم على اختلاف اهوائهم ومطالبهم ومراداتهم لا يتحركون حركة اصلاً الا فيما يرجون به طرد الهم ولا ينطقون بكلمة اصلا الا فيما يعانون به ازاحته عن انفسهم · فمن مخطئ وجه سبيله · ومن مقارب للخطاء · ومن مصيب وهو الاقل · فطرد الهم مذهب قد اتفقت الامم كلها منذ خلق الله تعالى العالم الى ان يتناهى عالم الابتداء ويعاقبه عالم الحساب على ان لا يعتمدوا بسعيهم شيئاً سواه · وكل غرض غيره ففي الناس من لا يستحسنه اذ في الناس من لا دين له فلا يعمل للآخرة · وفي الناس من

اهل الشر من لا يريد الخير ولا الامن ولا الحق . ومن الناس من يؤثر الخمول بهواه وارادته على بعد الصيت . وفي الناس من لا يريد المال ويؤثر عدمه على وجوده كثير من الانبياء عليهم السلام ومن تلاهم من الزهاد والفلاسفة . وفي الناس من يبغض اللذات بطبعه ويستنقص طالبها كمن ذكرنا من المؤثرين فقد المال على اقتنائه . وفي الناس من يؤثر الجهل على العلم كاكثر من نرى من العامة . وهذه هي اغراض الناس التي لا غرض لهم سواها . وليس في العالم مذ كان الى ان ينتهي احد يستحسن الهم ولا يريد الا طرحه عن نفسه . فلما استقر في نفسي هذا العالم الرفيع وانكشف لي هذا السر العجيب . واثار الله تعالى افكاري هذا الكنز العظيم . بحثت عن سبيل موصلة الحقيقة الى طرد الهم الذي هو المطلوب النفيس الذى اتفق جميع انواع الانسان الجاهل منهم والعالم والصالح والطالح على السعي له فلم أجدها لا التوجه الى الله عز وجل بالعمل للآخرة . والا فانما طلب المال طلابه ليطردوا به هم الفقر عن انفسهم . وانما طلب الصوت من طلبه ليطرد

به عن نفسه هم الاستعلاء عليها . وانما طلب اللذات من طلبها ليطرد بها عن نفسه هم قوتها . وانما طلب العلم من طلبه ليطرد به عن نفسه هم الجهل . وانما هش الى سماع الاخبار ومحادثة الناس من يطلب ذلك ليطرد بها عن نفسه هم التوحد وتغيب احوال العالم عنه . وانما أكل من أكل وشرب من شرب ونكح من نكح ولبس من لبس ولعب من لعب وكنز من كنز وركب من ركب ومشى من مشى وتورع من تورع ليطردوا عن انفسهم اضداد هذه الافعال وسائر الهموم . وكل ما ذكرنا لمن تدبره هموم حادثه لا بد لها من عوارض تعرض في خلالها وتعذر ما يتعذر منها وذهاب ما يوجد منها والعجز عنه لبعض الآفات الكائنة وايضاً سوء شح بالحصول الى ما حصل عليه من ذلك من خوف منافس او طعن حاسد او اختلاس راغب او اقتناء عدو مع الذم والاثم وغير ذلك . ووجدت العمل للآخرة سالماً من كل عيب خالصاً من كل كدر . موصلاً الى طرد الهم على الحقيقة . ووجدت العامل للآخرة ان امتحن بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسر اذ رجاؤه في عاقبة ما

ينال به عون على ما يطلب وزائد في الغرض الذي يقصد · ووجدته ان عاقه عما هو بسبيله عائق · لم يهتم اذ ليس مؤاخذاً بذلك فهو غير مؤثر في ما يطلب ورأيته ان قصد بالاذى سر وان نكبته نكبه سر · وان تعب فيما سلك فيه سر · فهو في سرور متصل ابداً وغيره بخلاف ذلك ابداً · فاعلم انه مطلوب واحد وهو طرد الهم وليس اليه الا طريق واحد وهو العمل لله تعالى فما عدا هذا فضلال وسخف · لا تبذل نفسك الا فيما هو اعلى منها · وليس ذلك الا في ذات الله عز وجل · في دعاء الى حق · وفي حمايه الحريم · وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى · وفي نصر مظلوم · وباذل نفسه في غرض دنيا كبائع الياقوت بالحصا · لا مروءة لمن لا دين له · العاقل لا يرى لنفسه ثمنا الا الجنة · لابليس في ذم الرياء حيلة · وذلك انه رب ممتنع من فعل خير خوف ان يظن به الرياء

﴿ باب عظيم من ابواب العقل والراحة ﴾

وهو طرح المبالاة بكلام الناس واستعمال المبالاة بكلام

الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها · من قدّر انه يسلم من طعن الناس وعيوبهم فهو مجنون · من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق · وان ألمها في اول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه اشد واكثر من اغتباطه بمدحهم اياه · لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له اسرى ذلك فيه العجب فافسد بذلك فضائله · وان كان باطل فبلغه فسر فقد صار مسروراً بالكذب · وهذا نقص شديد واما ذم الناس اياه فان بحق فبلغه فربما كان ذلك سبباً الى تجنبه ما يعاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا ناقص · وان كان بباطل فصبر اكتسب فضلاً زائداً بالحلم والصبر وكان مع ذلك غانماً لانه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى بها في دار الجزاء احوج ما يكون الى النجاة باعمال لم يتعب فيها ولا تكلفها · وهذا حظ رفيع لا يزهد فيه الا مجنون · واما ان لم يبلغه مدح الناس اياه فكلامهم وسكوتهم سواء · وليس كذلك ذمهم اياه لانه غانم للاجر على كل حال بلغه ذمهم او لم يبلغه · ولولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الثناء الحسن . ذلك عاجل بشر المؤمن لوجب ان يرغب العاقل في الذم بالباطل اكثر من رغبته في المدح بالحق ولكن اذجاء هذا القول فانما تكون البشرى بالحق لا بالباطل فانما تجب البشرى بما في المدح لا بنفس المدح . ليس بين الفضائل والرذائل والطاعات والمعاصي الا انفار النفس وانسها فقط . فالسعيد من انست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي . والشقي من انست نفسه بالرذائل والمعاصي ونفرت من الفضائل والطاعات . وليس ههنا الا صنع الله تعالى وحفظه . طالب الاخرة متشبه بالملائكة . وطالب الشر متشبه بالشياطين . وطالب الصوت والغلبة متشبه بالسباع وطالب اللذات متشبه بالبهائم . وطالب المال لعين المال لا لنفقته في الواجبات والنوافل المحمودة اسقط واذل من ان يكون له في شيء من الحيوان شبه . ولكنه يشبه العذرات في الكهوف في المواضع الوعرة لا ينتفع بها شيء من الحيوان العاقل لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع او بهيمة او جماد . وانما يغتبط بتقدمه في الفضيلة التي ابانه الله بها عن

السباع والبهائم والجمادات وهي التميز الذي يشارك فيه الملائكة فمن سر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها لله تعالى فليعلم ان النمر اجرأ منه . وان الاسد والذئب والفيل اشجع منه . ومن سرّ بقوة جسمه فليعلم ان البغل والثور والفيل اقوى منه جسماً . ومن سر بحمله الاثقال فليعلم ان الحمار احمل منه ومن سر بسرعة عدوه فليعلم ان الكلب والارنب اسرع عدواً منه ومن سر بحسن صوته فليعلم ان كثيراً من الطير احسن صوتاً منه . وان اصوات المزامير الذ واطرب من صوته . فاي فخر واي سرور في ما تكون فيه هذه البهائم متقدمة عليه . لكن من قوي تميزه واتسع علمه وحسن عمله فليغتبط بذلك فانه لا يتقدمه في هذه الوجوه الا الملائكة وخيار الناس . قول الله تعالى (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) جامع لكل فضيلة لان نهي النفس عن الهوى هو ردعها عن الطبع الغضبي وعن الطبع الشهواني لان كليهما واقع تحت موجب الهوى فلم يبقَ الا استعمال النفس للنطق الموضوع فيها الذي به

بانت عن البهائم والحشرات والسباع (قول) رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي استوصاه لا تغضب وامره عليه السلام ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه جامعان لكل فضيلة لان في نهيه عن الغضب ردع النفس ذات القوة الغضبية عن هواها وفي امره عليه السلام ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه ردع النفس عن القوة الشهوانيه وجمع لازمة العدل الذي هو فائدة النطق الموضوع في النفس الجامدة

❊ فصل في العلم ❊

لو لم يكن من فضل العلم الا ان الجهال يهابونك ويحبونك وان العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً الى وجوب طلبه فكيف بسائر فضائله في الدنيا والاخرة ولو لم يكن من نقص الجهل الا ان صاحبه يحسد العلماء ويغبطه نظراؤه من الجهال لكان ذلك سبباً الى وجوب الفرار عنه. فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة. لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به الا انه يقطع المشتغل به عن الوساوس المضنية

ومطارح الامال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الافكار الموءلمة للنفس لكان ذلك اعظم داعٍ اليه فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره ومن اقلها ما ذكرناه مما عليه طالب العلم وفي مثله اتعب خصفاء الملوك انفسهم فتشاغلوا عما ذكرنا بالشطرنج والنزد والخمر والاغاني وركض الدواب في طلب الصيد وسائر الفضول التي تعود بالمضرة في الدنيا والاخرة · لو تدبر العالم في سرور ساعاته ماذا كفاه العلم من الذل بتسلط الجهال ومن الهم بتغيب الحقائق عنه ومن الغبطة بما قد بان له وجهه من الامور الخفية عن غيره لزاد حمد الله عز وجل وغبطة بما لديه من العلم ورغبة في المزيد منه · من شغل نفسه بادنى العلوم وترك اعلاها وهو قادر عليه كان كزارع الذرة في الارض التي يجود فيها البر وكفارس الشعراء حيث يزكو النخل والزيتون · نشر العلم عند من ليس من اهله مفسد لهم كاطعامك العسل والحلواء من به احتراق وحمى وكتشميمك المسك لمن به صداع من احتدام الصفراء · الباخل بالعلم ألوم من الباخل بالمال لان الباخل بالمال اشفق من فناء ما بيده والباخل بالعلم

بخل بما لا يفنى على النفقة ولا يفارقه مع البذل · من مال يطبعه الى علم ما وان كان ادنى من غيره فلا يشغله بسواه · فيكون كغارس النارجيل بالاندلس وكغارس الزيتون بالهند وكل ذلك لا ينجب · اجل العلوم ما قربك الى خالقك تعالى وما اعانك على الوصول الى رضاه · انظر في المال والصحة الى من دونك وانظر في الدين والعلم والفضائل الى من فوقك · العلوم الغامضة كالدواء القوي يصلح الاجساد القويه ويهلك الاجساد الضعيفة وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودة ونصفيه من كل آفة وتهلك ذا العقل الضعيف · من الغوص على الجنون · ما لو غاصه صاحبه على العقل لكان احكم من الحسن البصري وافلاطون الاثيني وبزرجمهر الفارسي وقف العقل عند انه لا ينفع ان لم يؤيد بتوفيق في الدين او يسعد في الدنيا · وقف العلم عند الجهل بصفات الباري عز وجل لآفة على العلوم واهلها اضر من الدخلاء فيها وهم من غير اهلها فانهم يجهلون ويظنون انهم يعلمون ويفسدون ويظنون انهم يصلحون · من اراد خير الاخرة وحكمة الدنيا وعدل

السيرة والاحتواء على محاسن الاخلاق كلها واستحقاق الفضائل باسرها فليقتدِ بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل اخلاقه وسيره ما امكنه اعاننا الله على الاتساء به بمنه امين

غاظني اهل الجهل مرتين من عمري (احداهما) بكلامهم فيما لا يحسنونه ايام جهلي (والثانية) بسكوتهم عن الكلام بحضرتي فهم ابداً ساكتون عما ينفعهم ناطقون فيما يضرهم وسرني اهل العلم مرتين من عمري (احداهما) بتعليمي ايام جهلي (والثانية) بمذاكرتي ايام علمي من فضل العلم والزهد في الدنيا لانهما لا يؤتيهما الله عز وجل الا اهلهما ومستحقهما ومن نقص احوال الدنيا من المال والصوت ان اكثر ما يقعان ففي غير اهلهما وفيمن لا يستحقهما - من طلب الفضائل لم يساير الا اهلها ولم يرافق في تلك الطريق الا اكرم صديق - اهل المساواة والبر والصدق وكرم العشيره والصبر والوفاء والامانة والحلم وصفاء الضمائر وصحة المودة ومن طلب الجاه والمال واللذات لم يساير الا امثال الكلاب الكلبة والثعالب

الخابة ولم يرافق في تلك الطريق الا كل عدو المعتقد خبيث الطبيعة · منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو انه يعلم حسن الفضائل فيأتيها ولو في الندرة · ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ولو في الندره · ويستمع الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الردى فينفر منه فعلى هذه المقدمات وجب ان يكون للعلم حصة في كل فضيلة · وللجهل حصة في كل رذيلة ولا يأتي الفضائل من لم يتعلم الا صافي الطبع جداً فاضل التركيب · وهذه منزلة خص بها النبيون عليهم الصلاة والسلام لان الله علمهم الخير كله دون ان يتعلموه من الناس

❋ فصل في الاخلاق والسير ❋

احرص على ان توصف بسلامة الجانب · وتحفظ من ان توصف بالدهاء · فيكثر المتحفظون منك حتى ربما اضر ذلك بك وربما قتلك موطن نفسك على ما تكره يقل همك اذا اتاك ولم تستضر بتوطينك اولا · ويعظم سرورك ويتضاعف اذا اتاك ما تحب مما لم تكن قدوته · اذا تكاثرت الهموم

سقطت كلها · الغادر بقي بالمحدود والوافي يغدر بالمحدود · والسعيد كل السعيد في دنياه من لم يضطره لزمانه الى اختبار الاخوان · لا تفكر فيمن يوءذيك فانك ان كنت مقبلا فهو هالك وسعدك يكفيك · وان كنت مدبراً فكل احد يوءذيك طوبى لمن علم عيوب نفسه اكثر مما يعلمه الناس منها · الصبر على الجفاء ينقسم ثلاثة اقسام : فصبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه · وصبر عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك وصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك · فالاول ذل ومهانة وليس من الفضائل والرأى لمن خشي ما هو اشد مما يصبر عليه المتاركة والمباعدة · والثاني فضل وبر وهو الحلم على الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء · والثالث · ينقسم قسمين اما ان يكون الجفاء ممن لم يقع منه الا على سبيل الغلط ويعلم قبح ما اتى به ويندم عليه · فالصبر عليه افضل وفرض وهو حلم على الحقيقة · واما من كان لا يدري مقدار نفسه وظن ان لها حقاً يستطيل به فلا يندم على ما سلف منه · فالصبر عليه ذل للصابر وافساد للمصبور عليه · لانه يزيد

استشراء والمفارضة له سخف والصواب اعلامه بانه كان ممكناً
ان ينتصر منه وانه انما ترك ذلك استرذالا له فقط وصيانة
عن مراجعته ولا يزاد على ذلك . واما جواب السفلة فليس
جوابه الا النكال وحده . من جالس الناس لم يعدم ما يؤلم
نفسه وانما يندم عليه في معاده وغيظاً ينضج كبده وذلا
ينكس همته فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم . والعز والراحة
والسرور والسلامة في الانفراد عنهم ولكن اجعلهم كالنار
تدفأ بها ولا تخالطها . لا تحقر شيئاً من عمل غد لان تخففه
بان تعجله اليوم . فان من قليل الاعمال يجتمع كثيرها وربما
أعجز امرها فبطل الكل . ولا تحقر شيئاً مما ترجو به ثقل
ميزانك يوم البعث ان تعجله الان وان قل فانه يحط عنك
كثيراً لو اجتمع لقذف بك في النار . الوجع والفقر والنكبة
والخوف لا يحس اذاها الا من كان فيها ولا يعلمه من كان
خارجاً عنها . وفساد الرأي والعار والاثم لا يعلم قبحها الا من
كان خارجاً عنها وليس يراه من كان داخلا فيها . الأمن
والصحة والغني لا يعرف حقها الا من كان خارجاً عنها . وليس

يعرف حقها من كان فيها · وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة لا يعرف فضلها الا من كان من اهلها ولا يعرفه من لم يكن منها · اول من يزهد في الغادر من غدر له الغادر واول من يمقت شاهد الزور من شهد له به واول من تهون الزانية في عينه الذي يزني بها · ما رأينا شيئاً فسد فعاد الى صحة الا بعد اللتى فكيف بدماغ يتوالى عليه فساد السكر كل ليلة · وان عقلا زين لصاحبه تعجيل افساده كل ليلة لعقل ينبغي ان يتهم · قد ينحس العاقل بتدبيره ولا يجوز ان يسعد الاحمق بتدبيره · لا شيء اضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه · فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه · مقرب اعدائه قاتل نفسه · التهويل بازوم زى ما والاكفهرار وقلة انبساط ستائر جهلها الجهال الذين مكنتهم الدنيا امام جهلهم · ثق بالمتدين وان كان على غير دينك · ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على دينك · من استخف بحرمات الله تعالى فلا تأمنه على شيء تشفق عليه وجدت المشاركين بارواحهم اكثر من المشاركين باموالهم ·

وعلة ذلك طبيعة في البشر . انما تأنس النفس بالنفس . فاما الجسد فمستثقل مبروم به . ودليل ذلك استعجال المرء بدفن حبيبه اذا فارقته نفسه وأسفه لذهاب النفس وان كانت الجثة حاضرة بين يديه . لم ار لابليس أصيد من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته (احدهما) اعتذار من اساء بان فلاناً اساء قبله (والثانية) استسهال الانسان ان يسيء اليوم لانه قد اساء امس . بذل الواجبات فرض . وبذل ما فضل عن القوت جود . والايثار على النفس من القوت بما لا تهلك على عدمه فضل . ومنع الواجبات حرام . ومنع ما فضل عن القوت بخل وشح . والمنع من الايثار ببعض القوت شجع . . ومنع النفس او الاهل للقوت او بعضه نتن ورذالة ومعصيه . والسخاء بما ظلمت فيه او اخذته بغير حقه ظلم مكروه . والذم جزاء ذلك لا الحمد لانك انما تبذل مال غيرك على الحقيقة لا مالك . واعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس جوداً ولكنه حق . حد الشجاعة بذل النفس للموت عن الدين او الحريم او عن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم

وعن المخيمة ظلما في المال والعرض وسائر سبل الحق سواء
قل من يعارض او اكثر . والصبر عما ذكرنا جبن وخور
وبذلها في عروض الدنيا تهور وحمق . واحمق من ذلك من
بذلها في المنع في الحقوق والواجبات قبلك او قبل غيرك
واحمق من هؤلاء كلهم قوم شاهدتهم لا يدرون فيما يبذلون
انفسهم فتارة يقاتلون زيداً عن عمرو وتارة يقاتلون عمرا عن
زيد ولعل ذلك يكون في يوم واحد فيتعرضون للهالك بلا
معنى فينقلبون الى النار او يفرون الى العار . وقد انذر بهؤلاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : يأتي على الناس زمان
لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل . حد العفة ان
تغض بصرك وجميع جوارحك عن الاجسام التي لا تحل
لك فما عدا هذا فهو عهر . وما نقص حتى يمسك عما احل
الله تعالى فهو ضعف وعجز . حد العدل ان تعطي من نفسك
الواجب وتأخذه . وحد الجور ان تأخذه ولا تعطيه .
وحد الكرم ان تعطي من نفسك الحق طائعاً وتتجافى
عن حقك لغيرك قادراً . فالفضل اعم والجود اخص اذ

الحلم فضل وليس جوداً والفضل فرض زدت عليه نافلة · اهمال ساعة يفسد رياضة سنة · خطأ الواحد خير في تدبير الامور من صواب الجماعة التي لا يجمعها واحد · لان خطأ الواحد في ذلك يستدرك وصواب الجماعة يضرب على استدامة الاهمال وفي ذلك الهلاك سوء الظن بعده قوم عيباً على الاطلاق وليس كذلك الا اذا ادى صاحبه الى مالا يحل في الديانة او الى ما يقبح في المعاملة : والا فهو حزم والحزم فضيلة · عيب بعضهم باتلاف ماله فقال · اني لا اضيع منه الا ما كان في حفظه نقص ديني او اخلاق عرضي · او اتعاب نفسي فاني ارى الذي احفظ من هذه الثلاثة وان قل اجل في العوض مما يضيع من مالي ولو انه كل ما ذرت عليه الشمس · افضل نعم الله على العبد ان يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وايثاره · من عيب حب الذكر انه يحبط الاعمال اذا حب عاملها ان يذكر بها وكاد يكون شركاً لانه يعمل لغير الله تعالى وهو يطمس الفضائل لان صاحبه لا يكاد يفعل الخير حبا للخير لكن ليذكر به · ابلغ في ذمك من مدحك

بما ليس فيك لانه نبه على نقصك . وابلغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك لانه نبه على فضلك ولقد انتصر لك من نفسه بذلك وباستهدافه الى الانكار واللائمة . لو علم الناقص نقصه لكان كاملا . لا يخلو مخلوق من عيب فالسعيد من قلت عيوبه ودفنت . اكثر ما يكون ما لم تظن فالحزم هو التأهب لما يظن فسبحان من رتب ذلك ليرى الانسان عجزه وافتقاره الى خالقه عز وجل

﴿ فصل في الاخوان والصداقة والنصيحة ﴾

استبقاك من عاتبك . وزهد فيك من استهان بشأنك العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فاما تصفو واما تطير . من طوى من اخوانك سره الذي يعنيك دونك اخون لك ممن افشى سرك . لان من افشى سرك فانما خانك فقط ومن طوى سره دونك منهم فقد خانك واستخونك . لا ترغب فيمن يزهد فيك فتحصل على الخيبة والخزى . لا تزهد فيمن يرغب فيك فانه باب من ابواب الظلم وترك

مقارضة الاحسان وهذا قبيح · من امتحن بان يخالط الناس
فلا يلق توهمه كله الى من صحب · ولا يبن منه الا على انه
عدو مناصب · ولا يصبح كل غداة الا وهو مترقب من
غدر اخوانه · وسوء معاملتهم مثل ما يترقب من العدو
المكاشف · فان سلم من ذلك فالله الحمد · وان كانت الاخرى
ألقى متأهبا ولم يبت هما · ولا يستعمل مع ذلك سوء المعاملة
فيلحق بذي الشرارة من الناس واهل الخب منهم · ولكن
ههنا طريق وعرة المسالك شاقة التكلف يحتاج سالكها
الى ان يكون اهدى من القطا واحذر من العقعق حتى يفارق
الناس راحلا الى ربه تعالى وهي طريق الفوز في الدين
والدنيا وهي ان تكتم سر كل من دونك وان لا تفشي الى
احد من اخوانك ولا من غيرهم ما يمكنك طيه بوجه ما من
الوجوه وان كان اخص الناس بك · وان تقي بجميع من
ائتمنك · ولا تأتمن احدا على شيء من امرك تشفق عليه الا
لضرورة لا بد منها فارتد حينئذ واجتهد وعلى الله الكفاية ·
وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك او لم يسألك ولكل

من احتاج اليك وامكنك نفعه وان لم يعمدك بالرغبة ولا تشعر نفسك انتظار مقارضة على ذلك من غير ربك عز وجل . اول من احسنت اليه اول مضر بك وساع عليك . فان ذوي التراكيب الخبيثة يبغضون لشدة الحسد كل من احسن اليهم اذا رأوه في اعلى من احوالهم . وعامل كل احد في الانس احسن معاملة واصبر السلو عنه . لا تنصح على شرط القبول . ولا تشفع على شرط الاجابة . ولا تهب على شرط الاثابة . لكن على سبيل استعمال الفضل وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف . حد الصداقة الذي يدور على طرفي محدوده . هو ان يكون المرء يسوؤه ما ساء الآخر ويسره ما سره . فما سفل عن هذا فليس صديقاً . ومن حمل هذه الصفة فهو صديق فيما نصح فيه . وكل ناصح صديق . وليس كل صديق ناصحاً . وحد النصيحة . هو ان يسوء المرء ما ضر الآخر ساء ذلك الآخر ام سره . وان يسره ما نفعه سر الآخر ام ساءه . فهذا شرط في

النصيحة زائد على شروط الصداقة واقصى غايات الصداقة التي لا مزيد عليها من شاركك بنفسه وماله لغير علة توجب ذلك وآثرك على من سواك . ليس شيء من الفضائل اشبه بالرذائل من الاستكثار من الاخوان والاصدقاء فان ذلك فضيلة تامة متركبة لانهم لا يكتسبون الا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستضلاع والمشاركة والعفة وحسن الدفاع وتعلم العلم وبكل حالة محمودة ولسنا نعني الاتباع ايام الخدمة لانحرافهم عند انحراف الدنيا والمصادقين لبعض الاطماع ولا المتنادمين على الخمر والمجتمعين على المعاصي والقبائح ونيل عراض الناس والفضول وما لا فائدة فيه فليس لهؤلاء اصدقاء لنيل بعضهم من بعض وانحرافهم عند فقد تلك الرذائل التي جمعتهم . وانما نعني اخوان الصفاء لغير معنى الا لله عز وجل . واذا حصلت عيوب الاستكثار منهم وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض اما بموت او غربة او فراق او غدر من يغدر منهم كان السرور بهم لا يفي بالحزن الممض من اجلهم . وليس في الرذائل اشبه

بالفضائل من محبة المدح فانه في الوجه سخف ممن يرضى به الا انه قد ينتفع به في الانصار عن الشر والتزيد من الخير وفي ان يرغب في ذلك الخلق الممدوح من سمعه · بعض انواع النصيحة يشكل امره من النميمة لان من سمع انساناً يذم آخر ظالما له او يكيده فكتم ذلك عن القول فيه والكيد كان الكاتم لذلك ظالما مذموما ثم ان اعلمه بذلك كان قد ولد على الذام والكائد ما لم يبلغا استحقاقه بعد من الاذى فيكون ظالما له · وليس من الحق ان يقتص من الظالم باكثر من قدر ظلمه فالعاقل في مثل هذا يحفظ المقول فيه من القائل دون ان يبلغه ما قال لئلا يقع في الاسترسال اليه فيهلك · واما في الكيد فيحفظه من الوجه الذي يكاد منه بالطف ما يقدر في الكتمان على الكائد وابلغ ما يقدر في تحفيظ الكيد ولا يزد على هذا شيئا · واما النميمة فهي التبليغ لما سمع مما لا ضرر فيه على المبلغ اليه · النصيحة مرتان فالاولى فرض وديانة والثانية تنبيه وتذكير والثالثة توبيخ وتقريع وليس وراء ذلك الا الكلام والاطام وربما اشد من ذلك

من البغي والاذى اللهم الا في معاني الديانة فواجب على المرء ترداد النصح رضي المنصوح او سخط تأدي الناصح بذلك او لم يتأذ ٠ فاذا نصحت فانصح سراً لا جهاراً او بتعريض لا تصريح الا ان لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح ٠ ولا تنصح على شرط القبول منك فان تعديت هـذه الوجوه فانت ظالم لا ناصح وطالب طاعة وملك ٠ لا مؤد حق ديانة واخوة وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة ولكن حكم الامير مع رعيته والسيد مع عبيده ٠ لاتكلف صديقك الا مثل ما تبـذل له من نفسك فان طلبت اكثر فانت ظالم ٠ ولا تكسب الا على شرط الفقد ولا تتولى الا على شرط العزل والا فانت مضر بنفسك خبيث السيرة ٠ مسامحة اهل الاستئثار والاستهتام والتغافل لهم ليس مروءة ولا فضيلة بل مهانة وضعف وتضريبة لهم على التمادي على ذلك الخلق المذموم وتغبيط لهم به وعون لهم على فعل ذلك السوء ٠ وانما تكون المسامحة مروءة لاهل الانصاف والمبارين الى المسامحة والايثار فهؤلاء على اهل الفضل

ان يعاملوهم بمثل ذلك لاسيما ان كانت حاجتهم امس وضرورتهم
اشد (فان قال قائل) فاذا كان كلامك هذا موجباً لاسقاط
المسامحه والتغافل للاخوان فيه استوى الصديق والعدو
والاجنبي في المعاملة فهذا فساد ظاهر (فنقول) و بالله التوفيق
كلاماً ما يحض الا على المسامحة والتغافل والايثار ليس لاهل
التغنم لكن للصديق حقاً فان اردت معرفة وجه العمل في
هذا والوقوف على نهج الحق فان القصة التي توجب الاثرة
من المرء على نفسه صديقه ينبغي لكل واحد من الصديقين
ان يتأمل ذلك الامر فايهما كان امسّ حاجة فيه واظهر ضرورة
لديه فحكم الصداقة والمروءة تقتضي للاخر وتوجب عليه ان
يوءثر على نفسه في ذلك فان لم يفعل فهو متغنم مستكثر لا ينبغي
ان يسامح البتة اذ ليس صديقاً ولا اخاً فاما اذا استوت
حاجتهما واتفقت ضرورتهما فحق الصداقة ههنا ان يسارع كل
واحد الى الاثرة على نفسه فان فعلا هذا فهما صديقان
وان بدر احدهما الى ذلك ولم يبادر الاخر اليه فان كانت
عادته هذه فليس صديقاً ولا ينبغي ان يعامل معاملة الصداقة

وان كان قد يبادر هو ايضاً الى مثل هذا في قصة اخرى فهما صديقان · من اردت قضاء حاجته بعد ان سألك اياها او اردت ابتداءه بقضائها فلا تعمل له الا ما يريد هو لا ما تريد انت والا فامسك فان تعديت هذا كنت مسيئاً لا محسناً ومستحقاً للوم منه ومن غيره لا للشكر ومقتضياً للعداوة لا للصداقة · لا تنقل الى صديقك ما يوءلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته فهذا فعل الاراذل ولا تكتمه ما يستضر بجهله فهذا فعل اهل الشر ولا يسرك ان تمدح بما ليس فيك ليعظم بل غمك بذلك لان نقصك ينبه الناس عليه ويسمعهم اياه وسخرية منك وهزوء بك ولا يرضى بهذا الا حمق ضعيف العقل · ولا بأس ان ذممت بما ليس فيك بل افرح به فان فضلك ينبه الناس عليه ولكن افرح ان كان فيك ما تستحق به المدح وسواء مدحت به او لم تمدح واحزن اذا كان فيك ما تستحق به الذم فسواء ذممت به او لم تذم

من سمع قائلاً يقول في امرأة صديقه قول سوء فلا يخبره بذلك اصلاً لا سيما اذا كان القائل عياباً وقاعاً في

الناس سليط اللسان او دافع مغرم عن نفسه يريد ان يكثر امثاله في الناس وهذا كثير موجود و بالجملة فلا يحدث الانسان الا بالحق وقول هذا القائل لا يدري احق هو ام باطل الا انه في الديانة عظيم فان سمع القول مستفيضاً من جماعة وعلم ان اصل ذلك القول شائع وليس راجعاً الى قول انسان واحد او اطلع على حقيقته الا انه لا يقدر يوقف صديقه على ما وقف عليه هو فليخبره بذلك بينه وبينه برفق وليقل له : النساء كثيراً وحصن منزلك وثقف اهلك او اجتنب امراً كذا وتحفظ من وجه كذا . فان قبل المنصوح وتحرز لحظ نفسه اصاب وان رآه لا يتحفظ ولا يبالي امسك ولم يعاوده بكلمة وتمادى على صداقته اياه فليس في ان لا يصدقه في قوله ما يوجب قطيعته . فان اطلع على حقيقة وقدر ان يوقف صديقه على جل ما وقف هو عليه من الحقيقة ففرض عليه ان يخبره بذلك و يوقفه على الجلية . فان غير فذلك وان رآه لا يغير اجتنب صحبته ولا خير فيه ولا بغية . ودخول رجل مستتر في منزل المرء دليل سوء لا يحتاج الى غيره . ودخول المرأة في منزل رجل

على سبيل التستر مثل ذلك ايضاً . وطلب دليلين اكثر من ذلك سخف . وواجب ان يجتنب مثل هذه المرأة ومفارقها على كل حال . وممسكها لا يبعد عن الديانة . الناس في بعض أخلاقهم على تسع مراتب . فطائفة تمدح في الوجه وتذم في المغيب وهذه صفة أهل النفاق والعيابين وهذا خلق فاش في الناس غالب عليهم : وطائفة تذم في المشهد والمغيب وهذه صفة أهل السلاطة والوقاحة من العيابين وطائفه تمدح في الوجه والمغيب وهذه صفة أهل الملق والطمع : وطائفة تذم في المشهد وتمدح في المغيب وهذه صفة أهل السخف والنواكة واما اهل الفضل فيمسكون عن المدح والذم في المشاهدة ويثنون بالخير في المغيب او يمسكون عن الذم . واما العيابون البراء من النفاق والقحة فيمسكون عن المدح وعن الذم في المشهد والمغيب . ومن كل من اهل هذه الصفات قد شاهدناه وبلوناه اذا نصحت في الخلاء وبكلام لين ولا تسند سبب من تحدثه الى غيرك فتكون نماماً فان خشنت كلامك في النصيحة فذلك اغراء وتنفير . وقد قال تعالى : فقولا له قولاً ليناً . وقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا تنفر . وان نصحت بشرط القبول منك فانت ظالم ولعلك تخطئ في وجه نصحك فتكون مطالباً بقبول خطئك و بترك الصواب لكل شيء فائدة ولقد انتفعت بجهل اهل الجهل منفعة عظيمه وهي انه توقد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سبباً الى تواليف عظيمة النفع ولولا استشارتهم ساكنى واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف . لا تصاهر الى صديق ولا تبايعه فما رأينا هذين العملين الا سبباً للقطيعه . وان ظن أهل الجهل ان فيهما تأكيد للصلة فليس كذلك . لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب حظ نفسه . والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً . فاذا اجتمع طلب كل امرىء بحظ نفسه وقعت المنازعه ومع وقوعها فساد المروءة . وأسلم المصاهرة مغبة مصاهرة الاهلين بعضهم بعضاً لان القرابة تقتضي العدل وان كرهوه لانهم مضطرون الى ما لا انفكاك لهم منه من الاجتماع في النسب الذي توجب الطبيعة لكل أحد الذب عنه والحماية له

﴿ فصل في انواع المحبة ﴾

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفي انواعها . المحبة كلها جنس واحد ورسمها انها الرغبة في المحبوب وكراهة منافرته والرغبة في المقارضة منه بالمحبة . وانما قدر الناس انها تختلف من اجل اختلاف الاغراض فيها . وانما اختلفت الاغراض من اجل اختلاف الاطماع وتزايدها وانحسامها فتكون المحبة لله عزوجل وفيه . وللاتفاق على بعض المطالب وللاب والابن والقرابة والصديق وللسلطان ولذات الفراش وللمحسن والمأمول وللمعشوق . فهذا كله جنس واحد اختلفت انواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال فلذلك اختلفت وجوه المحبة . وقد رأينا من مات أسفاً على ولده كما يموت العاشق اسفاً على معشوقه . وبلغنا عمن شهق من خوف الله تعالى ومحبته فمات . وتجد المرء يغار على سلطانه وعلى صديقه كما يغار على ذات فراشه وكما يغار العاشق على معشوقه فأدني اطماع المحبة ممن تحب الحظوة منه والرفعة لديه والزلفة

عنده اذا لم تطمع في اكثر · وهذه غاية اطماع المحبين لله ثم يزيد الطمع في المجالسة ثم في المحادثة والموازرة · وهذه اطماع المرء في سلطانه وصديقه وذوي رحمه · واقصى اطماع المحب ممن يحب المخالطة بالاعضاء اذا رجا ذلك ولذلك نجد المحب المفرط المحبة في ذات فراشه يرغب في جماعها على هيئات شتى في اماكن مختلفة ليستكثر من الاتصال · ويدخل في هذا الباب الملامسة بالجسد والتقبيل · وقد يقع بعض هذا الطمع في الاب وفي ولده فيتعدى الى التقبيل والتعنيق · وكل ما ذكرنا انما هو على قدر الطمع · فاذا انحسم الطمع عن شيء ما لبعض الاسباب الموجبة له مالت النفس الى ما تطمع فيه · ويجد المقر بالرؤية شديد الحنين اليها عظيم التروح نحوها لا يقنع بدرجة نحوها لانه يطمع فيها · وتجد المنكر لها لا تحن نفسه الى ذلك ولا يتمناه اصلاً لانه لا يطمع فيه وتجده يقتصر على الرضا والحلول في دار الكرامة فقط لانه لا تطمع نفسه في اكثر · وتجد المستحل لنكاح القرائب لا يقنع منهن بما يقنع المحرم لذلك ولا تقف محبته حيث تقف محبة من لا يطمع

في ذلك فنجد من يستحل نكاح ابنته وابنة اخيه كالمجوس واليهود لا يقف من محبتهما حيث تقف محبة المسلم بل نجدهما يتعشقان الابنة وابنة الاخ كتعشق المسلم فيمن يطمع في مخالطته بالجماع . ولا نجد مسلماً يبلغ ذلك فيهما ولو انهما أجمل من الشمس وكان هو اعهر الناس واغزلهم فان وجد ذلك في الندرة فلا تجده الا من فاسد الدين قد زال عنه ذلك الرادع فانفسح له الامل وانفتح له باب الطمع . ولا يؤمن من المسلم ان تفرط محبته لابنة عمه حتى تصير عشقاً وحتى تتجاوز محبته لها محبته لابنته وابنة اخيه وان كانتا أجمل منها لانه يطمع من الوصول الى ابنة عمه حيث لا يطمع من الوصول الى ابنته وابنة اخيه ونجد النصراني قد أمن ذلك من نفسه في ابنة عمه ايضاً لانه لايطمع ومنها في ذلك لا يأمن ذلك من نفسه في اخته من الرضاعه لانه طامع بها في شريعته . فلاح بهذا عيانا ما ذكرنا من ان المحبة كلها جنس واحد لكنها تختلف انواعها على قدر اختلاف الاغراض فيها والا فطبائع البشر كلهم واحدة الا ان للعادة والاعتقاد الديني تأثيراً ظاهراً ولسنا

نقول ان الطمع له تأثير في هذا الفن وحده لكننا نقول ان الطمع سبب الى كل هم حتى في الاموال والاحوال فاننا نجد الانسان يموت جاره وخاله وصديقه وابن عمته وعمه لأم وابن أخيه لام وجده ابو امــه وابن بنته فاذ لا مطمع له في ماله ارتفع عنه الهم لفوته عن يده وان جل خطره وعظم مقداره فلا سبيل الى ان يمر الاهتمام لشيء منه بباله حتى اذا مات له عصبة على بعد او مولى على بعد وحدث له الطمع في ماله حدث له من الهم والاسف والغيظ والفكرة بفوت اليسير منه عن يده امر عظيم وهكذا في الاحوال فنجد الانسان من اهل الطبقة المتأخرة لا يهتم لانفاد غيره أمور بلده دون امره ولا لتقريب غيره وابعاده حتى اذا احدث له مطمع في هذه المرتبة حدث له من الهم والفكرة والغيظ امر ربما قاده الى تلف نفسه وتلف دنياه وأخراه . فالطمع اذًا أصل لكل ذل ولكل هم وهو خلق سوء ذميم وضده نزاهة النفس وهذه صفة فاضلة مركبة من النجدة والجود والعدل والفهم لانه رأى قله الفائدة في استعمال ضدها فاستعملها وكانت فيــه

نجدة انتجت له عزة نفسه فتنزه وكانت فيه طبيعة سخاوة نفس فلم يهتم لما فانه وكانت فيه طبيعة عدل حببت اليه القناعة وقلة الطمع . فاذن نزاهة النفس متركبة من هذه الصفات فالطمع الذي هو ضدها متركب من الصفات المضادة لهذه الصفات الاربع وهي الجبن والشح والجور والجهل . والرغبة طمع مستوفي متزايد مستعمل ولولا الطمع ما ذل احد لاحد . واخبرني ابو بكر بن ابي الفياض قال كتب عثمان بن محاسن على باب داره باستجة يا عثمان لا تطمع

﴿ فصل من هذا الباب ﴾

من امتحن بقرب من يكره . كمن امتحن ببعد من يحب ولا فرق

اذا دعا الحب في السلو فاجابته مضمونة وهي دعوة مجابة . اقنع بمن عندك يقنع بك من عندك . السعيد في المحبة هو من ابتلى بمن يقدر ان يلقي عليه قفله ولا تلحقه في مواصلته تبعة من الله عز وجل ولا ملامة من الناس . وصلاح ذلك ان يتوافقا في المحبة . وتحريره ان يكونا خاليين

من الملل فانه خلق سوء مبغض وتنامه نوم الايام عنهما مدة انتفاع بعضهما ببعض واني بذلك الا في الجنة واما ضمانه بيقين فليس الا فيها فهي دار القرار والا فلو حصل ذلك كله في الدنيا لم تؤمن الفجائع ولقطع العمر دون استيفاء اللذة

اذا ارتفعت الغيرة فابقن بارتفاع المحبة . الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة والعدل لان من عدل كره ان يتعدى الى حرمة غيره وان يتعدى غيره الى حرمته . ومن كانت النجدة له طبعاً حدثت فيه عزة . ومن العزة تحدث الانفة من الاهتضام . اخبرني بعض من صحبناه في الدهر عن نفسه انه ما عرف الغيرة قط حتى ابتلى بالمحبة فغار وكان هذا المخبر فاسد الطبع خبيث التركيب الا انه كان من اهل الفهم والجود

درج المحبة خمسة . أولها الاستحسان وهو ان يتمثل الناظر صورة المنظور اليه حسنة او يستحسن اخلاقه وهذا يدخل في باب التصادق . ثم الاعجاب به وهو رغبة الناظر في المنظور اليه وفي قربه . ثم الالفة وهي الوحشة اليه اذا غاب . ثم الكلف وهو غلبة شغلت البال وهذا النوع يسمى في الغزل العشق

ثم الشغف وهو امتناع النوم والاكل والشرب الا اليسير من ذلك . وربما أدي ذلك الى المرض او الى التسوس او الى الموت . وليس وراء هذا منزلة في تناهي المحبة اصلاً

﴿ فصل ﴾

كنا نظن ان العشق في ذوات الحركة والحدة من النساء اكثر فوجدنا الامر بخلاف ذلك وهو في الساكنة الحركات اكثر ما لم يكن ذلك السكون بلها

﴿ فصل ﴾

في انواع صباحة الصور وقد سئلت عن تحقيق الكلام فيها (فقلت) الحلاوه رقة المحاسن ولطف الحركات وخفة الاشارات وقبول النفس لاعراض الصور وان لم تكن ثم صفات ظاهره القوام جمال كل صفة وحدتها ورب جميل الصفات على انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع ولا . حلو الروعة بهاء الاعضاء الظاهره مع

جمال فيها . وهي ايضاً الفراهة . والعتق . الحسن هو شيء ليس له في اللغه اسم يعبر به عنه ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه . وهو برد مكسو على الوجه واشرق يستميل القلوب نحوه فتجتمع الاراء على استحسانه وان لم تكن هناك صفات جميلة فكل من راه راقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات افراداً لم تر طائلاً . وكأنه شيء في نفس المرىء يجده نفس الرائي . وهذا أجل مراتب الصباحة ثم تختلف الاهواء بعد هذا فمن مفضل للروعة ومن مفضل للحلاوة . وما وجدنا احداً قط يفضل القوام المنفرد الملاحة اجتماع شيء فشيء مما ذكرنا

(فصل فيما يتعامل الناس به في الاخلاق)

التلون المذموم هو التنقل من زي متكلف لا معنى له الى زي آخر مثله في التكلف وفي انه لا معنى له ومن حال لا معنى لها الى حال لا معنى لها بلا سبب يوجب ذلك . فاما من استعمل من الزي ما امكنه مما به اليه حاجة وترك التزيد مما لا يحتاج اليه

فهذا عين من عيون العقل والحكمة كبير. وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو القدوة في كل خير والذي اثنى الله تعالى على خلقه والذي جمع الله تعالى فيه اشتات الفضائل بتمامها وابعده عن كل نقص. يعود المريض مع اصحابه راجلاً في اقصى المدينه بلا خف ولا نعل ولا قلنسوة ولا عمامة . ويلبس الشعر اذا حضره وقد يلبس الوشي من الخبرات اذا حضره ولا يتكلف ما لا يحتاج اليه . ولا يترك ما يحتاج اليه . يستغني بما وجد عما لا يجد . ومرة يمشي راجلاً حافياً . ومرة يلبس الخف ويركب البغلة الرائعة الشهباء . ومرة يركب الفرس عرياء . ومرة يركب الناقه ومرة يركب حماراً ويردف عليه بعض اصحابه . ومره يأكل التمر دون خبز والخبز يابساً . ومرة يأكل العذق المشويه والبطيخ بالرطب والحلواء يأخذ القوه ويبذل الفضل ويترك ما لا يحتاج اليه ولا يتكلف فوق مقدار الحاجه ولا يغضب لنفسه ولا يدع الغضب لربه عز وجل . اثبات الذي هو صحة العقد . والثبات لذي هو اللجاج يشتبهان اشتباهاً لا يفرق بينهما الا عارف بكيفية

الاخلاق . والفرق بينهما ان اللجاج هو ما كان على الباطل او ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه وقد لاح له فساده او لم يلح له صوابه ولا فساده . وهذا مذموم . وضده الانصاف واما الثبات الذي هو صحة العقد فانما يكون على الحق او على ما اعتقده المرء حقاً ما لم يلح له باطله . وهذا محمود . وضده الاضطراب . وانما يلام بعض هذين لانه ضيع تدبر ما ثبت عليه وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل . حد العقل استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد ينطوي فيه اجتناب المعاصي والرذائل وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه على ان من عصاه لا يعقل قال الله تعالى حاكياً عن قوم (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) ثم قال تعالى مصدقاً لهم (فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير) وحد الحمق استعمال المعاصي والرذائل . وأما التعدي وقذف الحجارة والتخليط في القول فانما هو جنون ومرار هايج واما الحمق فهو ضد العقل وهما ما بينا آنفاً ولا واسطة بين العقل والحمق الا السخف . وحد السخف هو العمل والقول بما

لا يحتاج اليه في دين ولا دنيا ولا حميد خلق مما ليس معصية ولا طاعة ولا عوناً عليهما ولا فضيلة ولا رذيلة مؤذيه ولكنه فن هذا القول وفضول العمل . فعلى قدر الاستكثار من هذين الامرين او التقلل منهما يستحق المرء اسم السخف . وقد يسخف المرء في قصة ويعقل في أخرى ويحمق في ثالثة . وضد الجنون تمييز الاشياء ووجود القوة على التصرف في المعارف والصناعات وهذا الذي يسميه الاوائل النطق ولا واسطة بينهما . واما احكام امر الدنيا والتودد الى الناس بما وافقهم وصلحت عليه حال المتودد من باطل او غيره او عيب او مما عداه والتحيل في انماء المال وبعد الصيت وتسبيب الجاه بكل ما امكن من معصية ورذيلة فليس عقلاً ولقد كان الذين صدقهم الله في انهم لا يعقلون واخبرنا بانهم لا يعقلون سائسين لدنياهم مثمرين لاموالهم مدارين لملوكهم حافظين لرياستهم لكن هذا الخلق يسمى الدهاء وضده العقل والسلامة واما اذا كان السعي فيما ذكرنا بما فيه تصاون وأنفة فهو يسمى الحزم . وضده المنافي له في التضييع . واما الوقار ووضع الكلام

موضعه والتوسط في تدبير المعيشة ومسايرة الناس بالمسالمة فهذه الاخلاق تسمى الرزانة . وهي ضد السخف . والوفاء مركب من العدل والجود والنجدة . لان الوفي راى من الجور ان لا يقارض من وثق به او من أحسن اليه فعدل في ذلك ورأى ان يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ فجاد في ذلك ورأى ان يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء فشجع في ذلك

اصول الفضائل كلها اربعة عنها تتركب كل فضيلة وهي العدل والفهم والنجدة والجود

اصول الرذائل كلها اربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي اضداده الذي ذكرنا وهي الجور والجهل والجبن والشح

الامانة والعفة نوعان من انواع العدل والجود قال ابو محمد علي بن احمد ما قلته في الاخلاق

انما العقل اساس فوقه الاخلاق سور
فحلي العقل بالعلم والا فهو بور
جاهل الاشياء اعمى لا يرى كيف يدور
وتمام العلم بالعدل والا فهو زور

وزمام العدل بالجـود والا فيجور
وملاك الجود بالنجـدة والجبن غرور
عف ان كنت غيو رما زنى قط غيور
وكمال الكل بالتقـوى وقول الحق نور
ذي اصول الفضل عنها حدثت بعد النذور

وما قلته ايضاً

ذمام اصول جميع الفضـائل عدل وفهم وجود وباس
فمن هذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس
كذا الراس فيه الامور التي باحسانها يكشف الالتباس

في النفس فضيلة تركبت من النجده . وكذلك الصبر . والحلم نوع مفرد من انواع النجدة . والقناعه فضيله مركبة من الجود والعدل . الشر متولد عن الطمع . والطمع متولد عن الحسد . والحسد متولد عن الرغبة . والرغبة متولدة عن الجور والشح والجهل (الحرص) ويتولد من الحرص . رذائل عظيمة منها الذل والسرقة والغصب والزنا والقتل والعشق والهم بالفقر والمسئلة لما بايدي الناس . وانما فرقنا بين الحرص والطمع

لان الحرص هو اظهار ما استكن في النفس من الطمع ·
(والمدارة) فضيله متركبه من الحلم والصبر · الصدق مركب
من العدل والنجدة · لا شيء اقبح من الكذب وما ظنك
بعيب يكون الكفر نوعاً من انواعه فكل كفر كذب
فالكذب جنس الكفر نوع تحته · (الكذب) متولد من الجور
والجبن والجهل· لان الجبن يولد مهانة النفس والكذاب مهين
النفس بعيد عن عزتها المحموده · رايت الناس في كلامهم
الذي هو فصل بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات
ينقسمون اقساماً ثلاثة احدها) من لا يبالي فيما انفق كلامه
فينكلم بكل ما سبق الى لسانه غير محقق نصر حق ولا انكار
باطل وهذا هو الاغلب في الناس (والثاني) ان ينكلم ناصراً
لما وقع في نفسه انه حق · ودافعاً لما توهم انه باطل · غير محقق
لطلب الحقيقة لكن لجاجاً فيما التزم وهذا كثير · وهو دون
الاول (والثالث) واضع الكلام في موضعه وهذا اعز من
الكبريت الاحمر لقد طال هم من غاظه الحق · اثنان عظمت
واحتهما احدهما في غاية المدح والاخر في غاية الذم · وهما

مطرح الدنيا ومطرح الحياء

من عجيب تدبير الله عز وجل للعالم ان كل شيء اشتدت الحاجة اليه كان ذلك أهون له . وتأمل ذلك في الماء فما فوقه وكل شيء اشتد الغنى عنه كان ذلك اعز له . وتأمل ذلك في الياقوت الاحمر فما دونه الناس فيما يعانون كالماشي في الفلاة كلما قطع ارضاً بدت له أرضون . وكلما نصد المرء سبباً حدثت له اسباب . صدق من قال ان العاقل في الدنيا متعوب . وصدق من قال انه فيها مستريح . فاما تعبه فيما يرى من انتشار الباطل وغلبة دولته وبما يحال بينه من اظهار الحق . واما راحته فمن كل ما يهتم به سائر الناس من فضول الدنيا . إياك وموافقة الجليس السيء ومساعدة اهل زمانك فيما يضرك في اخراك او في دنياك وان قل فانك لا تستفيد بذلك الا الندامه حيث لا ينفعك الندم . ولن يحمدك امروء ساعدته بل يشمت بك . وأقل ذلك وهو المضمون انه لا يبالي سوء عاقبتك وفساد مغبتك . واياك ومخالفة الجليس ومعارضة اهل زمانك في ما لا يضرك في دنياك ولا في اخراك

وان قل فانك تستفيد بذلك الاذى والمنافرة والعداوة وربما أدي ذلك الى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة اصلاً ان لم يكن بد من اغضاب الناس واغضاب الله عز وجل ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق او منافرة الحق فأغضب الناس ونافرهم . ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق

الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظه اهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب فمن وعظ بالجفا والاكفهرار فقد اخطأ وتعدى طريقه صلي الله عليه وسلم وصار في اكثر الامر مغرياً للموعوظ بالتمادي على امره لجاجاً وحراداً اومغايظة للواعظ الجافي فيكون في وعظه سيئاً لا محسناً . ومن وعظ ببشر وتبسم ولين كأنه مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستفتح من الموعوظ فذلك ابلغ وانجع في الموعظة . فان لم يقبل فلينتقل الى الموعظة بالتحشيم وفي الخلاء . فان لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ . فهذا أدب الله في امره بالقول اللين . وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة لكن كان يقول : ما بال اقوام يفعلون كذا . وقد اثنى

عليه الصلاة والسلام على الرفق . وامر بالتيسير ونهى عن التنفير . وكان يتخول بالموعظة خوف الملل . (وقال) تعالى : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

واما الغلظة والشدة فانما تجب في حد من حدود الله تعالى فلالين في ذلك للقادر على اقامة الحد خاصة . ومما ينجع في الوعظ ايضاً الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله . فهذا داعية الى عمل الخير وما اعلم لطلب المدح فضلاً الا هذا وحده وهو ان يقتدي به من يسمع الثناء ولهذا توجب ان تؤرخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره و يرغب في الحسن المنقول عمن تقدمه و يتعظ بما سلف . وتأملت كل ما دون السماء وطالت فيه فكرتي فوجدت كل شيء فيه من حي وغير حي من طبعه ان قوي ان يقلع عن غيره من الانواع كيفياته و يلبسه صفاته فترى الفاضل يود لو كان الناس فضلاء وترى الناقص يود لو كان الناس نقصاء وترى كل من ذكر شيئاً يحض عليه يقول وانا افعل امراً كذا وكل ذي مذهب يود لو كان الناس موافقين

له وترى ذلك في العناصر اذا قوى بعضها على بعض احالة الى نوعيته وترى ذلك في تركيب الشجر وفي تغذي النبات والشجر بالماء ورطوبة الارض واحالتهما ذلك الى نوعيتهما فسبحان مخترع ذلك ومدبره لا اله الا هو

ومن عجيب قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لا ترى احداً يشبه آخر شبهاً لا يكون بينهما فيه فرق وقد سألت من طال عمره وبلغ الثمانين عاماً هل رأى الصور في ما خلا مشبهة لهذه شبهاً واحداً · فقال لا بل لكل صورة فرقها وهكذا كل ما في العالم يعرف ذلك من تدبر الآلات وجميع الاجسام المركبات وطال تكرر بصره عليها · فانه حينئذٍ يميز ما بينها ويعرف بعضها من بعض بفروق فيها تعرفها النفس ولا يقدر احد يعبر عنها بلسانه فسبحان العزيز الحكيم الذي لا تتناهى مقدوراته

﴿ فصل في مداواة ادواء الاخلاق الفاسده ﴾

من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه · فان اعجب بفضائله

فليفتش ما فيه من الاخلاق الدنيئة . فان خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن انه لا عيب فيه فليعلم ان مصيبته الى الابد وانه اتم الناس نقصاً واعظمهم عيوباً واضعفهم تمييزاً واول ذلك ان ضعيف العقل جاهل . ولا عيب اشد من هذين لان العاقل هو من يميز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها . والاحمق هو الذى يجهل عيوب نفسه اما لقلة علمه وتمييزه وضعف فكرته . واما لانه يقدر ان عيوبه خصال وهذا اشد عيوب الارض . وفي الناس كثير يفخرون بالزنا واللياط والسرقة والظلم فيعجب بتأتي هذه النحوس له وبقوته على هذه المخازي (واعلم) يقيناً انه لا يسلم انسى من نقص حاشا الانبياء صلوات الله عليهم فمن خفيت عليه عيوب نفسه فقد سقط وصار من السخف والضعف والرذالة والخسة وضعف التمييز والعقل وقلة الفهم بحيث لا يتخلف عنه متخلف من الارذال وبحيث ليس تحته منزلة من الدناءة فليتدارك نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الاعجاب بها وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الاخرة . وما

ادرى لسماع عيوب الناس خصلة الا الاتعاظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها ويسعى في ازالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته (واما) النطق بعيوب الناس فعيب كبير لا يسوغ اصلاً والواجب اجتنابه الا في نصيحة من يتوقع عليه الاذى بمداخلة المعيب او على سبيل تبكيت المعجب فقط في وجهه لا خلف ظهره ثم يقول للمعجب ارجع الى نفسك فاذا ميزت عيوبها فقد داويت عجبك ولا تمثل بين نفسك وبين من هو اكثر عيوباً منها فتستسهل الرذائل وتكون مقلداً لاهل الشر وقد ذم تقليد اهل الخير فكيف تقليد اهل الشر . لكن مثل بين نفسك وبين من هو افضل منك فحينئذٍ يتلف عجبك وتفيق من هذا الداء القبيح الذي يولد عليك الاستخفاف بالناس وفيهم بلا شك من هو خير منك فاذا استخففت بهم بغير حق استخفوا بك بحق لان الله تعالى يقول (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فتولد على نفسك الاستخفاف بك بل على الحقيقة مع مقت الله عز وجل وطمس ما فيك من فضيلة . فان اعجبت بعقلك ففكر في حل فكرة سوء . تحل بخاطرك وفي اضاليل

الاماني الطائفة بك فانك تعلم لم نقص عقلك حينئذٍ وان اعجبت بارائك فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها وفي كل راي قدرته صواباً فخرج بخلاف تقديرك واصاب غيرك واخطأت انت . فانك ان فعلت ذلك فأقل احوالك ان يوازن سقوط رايك صوابه فتخرج لا لك ولا عليك والاغلب ان خطأك اكثر من صوابك . وهكذا كل احد من الناس بعد النبيين صلوات الله عليهم . وان اعجبت بخيرك فتفكر في معاصيك وفي تقصيرك وفي معايبك ووجوهه فوالله لتجدن من ذلك ما يغلب على خيرك ويفني على حسناتك فليطل همك حينئذ وابدل من العجب نقصاً لنفسك . وان اعجبت بعلمك فاعلم انه لا خصلة لك فيه وانه موهبة من الله مجردة وهبك اياها ربك تعالى فلا تقابلها بما يسخطه فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها تولد عليك نسيان ما علمت وحفظت . ولقد اخبرني عبد الملك ابن طريف وهو من اهل العلم والذكاء واعتدال الاحوال وصحة البحث انه كان ذا حظ من الحفظ عظيم لا يكاد يمر على سمعه شيء يحتاج الى استعادته وانه ركب البحر فمر به فيه هول

شديد انساه اكثر ما كان يحفظ واخل بقوة حفظه اخلالاً شديداً لم يعاوده ذلك الذكاء بعد . وانا اصابتني علة فافقت منها وقد ذهب ما كنت احفظ الاما لاقدر له فما عاودته الا بعد اعوام واعلم ان كثيراً من اهل الحرص على العلم يجدون في القراءه والاكباب على الدرس والطلب ثم لا يرزقون منه حظاً فليعلم ذو العلم انه لو كان بالاكباب وحده لكان غيره فوقه فصح انه موهبة من الله تعالى فاي مكان للعجب هاهنا ما هذا الا موضع تواضع وشكر لله تعالى واستزاده من نعمه واستعاذه من سلبها . ثم تفكر ايضاً في ان ما خفي عليك وجهلته من انواع العلم ثم من اصناف علمك الذي تختص به فالذي اعجبت بنفاذك فيه اكثر مما تعلم من ذلك فاجعل مكان العجب استنقاصاً لنفسك واستقصاراً فهو اولى . وتفكر فيمن كان اعلم منك تجدهم كثيراً فلتهن نفسك عندك حينئذ وتفكر في اخلالك بعلمك وانك لا تعمل بما علمت منه فعلمك عليك حجة حينئذ . ولقد كان اسلم لك لو لم تكن عالماً واعلم ان الجاهل حينئذٍ اعقل منك واحسن حالاً واعذر

فليسقط عجبك بالكلية ثم لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخره التي لا كبير خصلة فيها كالشعر وما جرى مجراه . وانظر حينئذٍ الى من علمه اجل من علمك في مراتب الدنيا والاخره فتهون نفسك عليك . وان اعجبت بشجاعتك فتفكر فيمن هو اشجع منك ثم انظر في تلك النجده التي منحك الله تعالى فيمَ صرفتها فان كنت صرفتها في معصية فانت احمق لانك بذلت نفسك فيما ليس ثمناً لها . وان كنت صرفتها في طاعة فقد افسدتها بعجبك ثم تفكر في زوالها عنك بالشيخوخة وانك ان عشت فستصير من عدد العيال وكالصبي ضعفاً . على اني ما رأيت العجب في طائفة اقل منه في اهل الشجاعة واستدللت بذلك على نزاهة انفسهم ورفعتها وعلوها . وان اعجبت بجاهك في دنياك فتفكر في مخالفيك واندادك ونظرائك ولعلهم اخساء وضعفاء سقاط فاعلم انهم امثالك فيما انت فيه ولعلهم ممن يستحي من التشبه بهم لفرط رذالتهم وخساستهم في انفسهم واخلاقهم ومنابتهم فاستهن بكل منزلة شاركك فيها من ذكر وان كنت مالك الارض كلها ولا

خليفة عليك وهذا بعيد جداً في الامكان فما نعلم احداً ملك معمور الارض كله على قلته وضيق ساحته بالاضافة الى غامرها فكيف اذا اضيف الى الفلك المحيط فتفكر فيما قال ابن السماك للرشيد وقد دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه فقال له يا امير المؤمنين فلو منعت هذه الشربة بكم كنت ترضى ان تبتاعها فقال له الرشيد بملكي كله . قال يا امير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضى ان تفتدى من ذلك قال بملكي كله . قال يا امير المؤمنين اتغتبط بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء . وصدق ابن السماك رحمه الله وان كنت ملك المسلمين كلهم فاعلم ان ملك السودان وهو رجل اسود رذل مكشوف العورة جاهل بملك اوسع من ملكك . فان قلت انا اخذته بحق فلعمري ما اخذته بحق اذا استعملت فيه رذيلة العجب واذا لم تعدل فيه فاستحي من حالك فهي حالة رذالة لا حالة يجب العجب فيها . وان اعجبت بمالك فهذه اسوء مراتب العجب فانظر فى كل ساقط خسيس فهو اغنى منك فلا تغتبط بحالة يفوقك فيها من ذكرت (واعلم) ان عجبك بالمال حمق لانه

احجار لا تنتفع بها الا ان تخرجها عن ملكك بنفقتها في وجهها فقط والمال ايضاً غادو رائح وربما زال عنك ورايته بعينك في يد غيرك ولعل ذلك يكون عدواً . فالعجب بمثل هذا سخف والثقة به غرور وضعف . وان اعجبك بحسنك ففكر فيما يولد عليك مما نستحي نحن من اتيانه وتستحي انت منه اذا ذهب عنك بدخولك في السن وفيما ذكرنا كفاية . وان اعجبت بمدح اخوانك ففكر في ذم اعدائك اياك فحينئذٍ ينجلي عنك العجب . فان لم يكن لك عدو فلا خير فيك ولا منزلة اسقط من منزلة من لا عدو له فليست الا منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها عافانا الله . فان استحقرت عيوبك ففكر فيها لو ظهرت الى الناس وتمثل اطلاعهم عليها فحينئذٍ تخجل وتعرف قدر نقصك ان كانت لك مسكة من تمييز (واعلم) بانك ان تعلمت كيفية تركيب الطبائع وتولد الاخلاق من امتزاج عناصرها المحمولة في النفس فستقف من ذلك وقوف يقين على ان فضائلك لا خصلة لك فيها وانها منح من الله تعالى لو منحها غيرك لكان

مثلك وانك لو وكلت الى نفسك لعجزت وهلكت فاجعل
بدل عجبك بها شكراً لواهبك اياها واشفاقاً من زوالها فقد
تتغير الاخلاق الحميدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالغضب
وبالهرم . وارحم من منع ما منحت ولا تتعرض لزوال ما بك
من النعم بالتعاصي على واهبها تعالى وبان تجعل لنفسك فيما
وهبت خصلة او حقاً فتقدر انك استغنيت عن عصمته فتلك
عاجلاً وأجلاً . ولقد اصابتني علة شديدة ولدت لي ربواً في
الطحال شديداً فولد ذلك على من الضجر وضيق الخلق وقلة
الصبر والنزق امراً حاسبت نفسي فيه اذ انكرت تبدل خلقي
واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي وصح عندي ان الطحال
موضع الفرح اذا فسد تولد ضده . وان اعجبت بنسبك فهذه
اسوأ من كل ما ذكرنا لان هذا الذي اعجبت به لا فائدة له
اصلاً في دنيا ولا آخرة وانظر هل يدفع عنك جوعه او يستر
لك عورة او ينقذك في آخرتك ثم انظر الى من يساهمك في
نسبك وربما فيما هو اعلى منه ممن نالته ولادة الانبياء عليهم
السلام ثم ولادة الفضلاء من الصحابة والعلماء ثم ولادة ملوك

العجم من الاكاسرة والقياصرة ثم ولاده التبابعة وسائر ملوك الاسلام فتأمل غبراتهم وبقاياهم ومن يدلى بمثل ما تدلى به من ذلك تجد اكثرهم امثال الكلاب خساسة وتلقهم في غاية السقوط والرذالة والتبدل والتحلي بالصفات المذمومة ولا تغتبط بمنزلة هم فيها نظراؤك او فوقك . ثم لعل الاباء الذين تفخر بهم كانوا فساقاً وشربة خمور ولاطة ومغنين ونوكي اطلقت الايام ايديهم بالظلم والجور فانتجوا ظلماً واثاراً قبيحة تبقى عارهم بذلك الايام ويعظم اثمهم والندم عليها يوم الحساب . فان كان كذلك فاعلم ان الذي اعجبت به من ذلك داخل في العيب والخزى والعار والشنار لا في الاعجاب . فان اعجبت بولادة الفضلاء ايك فما اخلا يدك من فضلهم ان لم تكن انت فاضلا . وما اقل غناهم عنك في الدنيا والآخره ان لم تكن محسناً . والناس كلهم اولاد آدم الذي خلقه الله بيده واسكنه جنته واسجد له ملائكته ولكن ما اقل نفعه لهم وفيهم كل معيب وكل فاسق وكل كافر واذا فكر العاقل في ان فضل آبائه لا يقربه من ربه تعالى ولا يكسبه وجاهة لم يجزها هو بسعده او بفضله في

نفسه ولا ماله فأي معنى للاعجاب بما لا منفعة فيه ومحل العجب بذلك الا كالعجب بمال جاره وبجاه غيره وبفرس لغيره سبق كان على رأسه لجامه كما تقول العامة في امثالها : كالغبي يزهى بذكاء ابيه . فان تعدى بك العجب الى الامتداح فقد تضاعف سقوطك لانه قد عجز عقلك عن مقارنة ما فيك من العجب هذا ان امتدحت بحق فكيف ان امتدحت بالكذب وقد كان ابن نوح وابو ابرهيم وابو لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم اقرب الناس ومن افضل خلق الله تعالى وممن الشرف كله في اتباعهم فما انتفعوا بذلك . وقد كان فيمن ولد لغير رشده من كان الغاية في رياسة الدنيا كزياد وابي مسلم ومن كان نهاية في الفضل على الحقيقة كبعض من نجله عن ذكره في مثل هذا الفضل ممن يتقرب الى الله تعالى بحبه والاقتداء بحميد آثاره . وان اعجبت بقوة جسمك فتفكر في ان البغل والحمار والثور اقوى منك واحمل للاثقال . وان اعجبت بخفتك فاعلم ان الكلب والارنب يفوقانك في هذا الباب فمن العجب العجيب اعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق

(واعلم) ان من قدر في نفسه عجباً او ظن لها على سائر الناس فضلاً فلينظر الى صبره عندما يدهمه من هم او نكبة او وجع او دمل او مصيبة فان رأى نفسه قليلة الصبر فليعلم ان جميع اهل البلاء من المجذومين وغيرهم الصابرين افضل منه على تأخر طبقتهم في التمييز وان رأى نفسه صابرة فليعلم انه لم يأت بشيء يسبق فيه على ما ذكرنا بل هو اما متأخر عنهم في ذلك او مساو لهم ولا مزيد . ثم لينظر الى سيرته وعدله او جوره فيما حوله من نعمة او مال او خول او اتباع او صحة او جاه فان وجد نفسه مقصره فيما يلزمه من الشكر لواهبه تعالى ووجدها حائفة في العدل فليعلم ان اهل العدل والشكر والسيره الحسنة من المخولين اكثر مما هو فيه افضل منه فان راى نفسه ملتزمه للعدل فالعادل بعيد عن العجب البتة لعلمه بموازين الاشياء ومقادير الاخلاق والتزامه التوسط الذي هو الاعتدال بين الطرفين المذمومين . فان اعجب فلم يعدل بل قد مال الى جنبة الافراط المذمومة (واعلم) ان التعسف وسوء الملكة ان خولك الله تعالى امره من رقيق او رعية يدلان

على خساسة النفس ودناءة الهمة وضعف العقل لان العاقل الرفيع النفس العالي الهمة انما يغلب اكفاءه في القوة ونظراءه في المنعة . واما الاستطالة على من لا يمكنه المعارضة فسقوط في الطبع ورذالة في النفس والخلق وعجز ومهانة ومن فعل ذلك فهو بمنزلة من يتبجح بقتل جرذ او بقتل برغوث او بفرك قملة وحسبك بهذا ضعة وخساسة واعلم ان رياضة الانفس اصعب من رياضة الاسد لان الاسد اذا سجنت في البيوت التي تتخذها لها الملوك أمن شرها . والنفس وان سجنت لم يؤمن شرها . العجب اصل يتفرع عنه التيه والزهو والكبر والنخوه والتعالي وهذه اسماء واقعة على معان متقاربة ولذلك صعب الفرق بينها على اكثر الناس فقد يكون العجب لفضيلة في المعجب ظاهرة . فمن معجب بعلمه فيكفهر ويتعلق على الناس . ومن معجب بعمله فيترفع ويتعالى ومن معجب برايه فيزهو على غيره . ومن معجب بنفسه فيتيه . ومن معجب بجاهه وعلو حاله فيتكبر وينتحي . واقل مراتب العجب ان تراه يتوفر عن الضحك في مواضع وعن خفة

الحركات وعن الكلام الا فيما لا بد له منه من امور دنياه وعيب هذا اقل من عيب غيره . ولو فعل هذه الافاعيل على سبيل الاقتصار على الواجبات وترك الفضول لكان ذلك فضلاً وموجباً لحمدهم ولكن انما يفعلون ذلك احتقاراً للناس واعجاباً بانفسهم فحصل لهم بذلك استحقاق الذم . وانما الاعمال بالنيات ولكل امريء ما نوى . حتى اذا اراد الامر ولم يكن هناك تمييز يحجب عن توفية العجب حقه ولا عقل جيد حدث عن ذلك ظهور الاستخفاف بالناس واحتقارهم بالكلام وفي المعاملة حتى اذا اراد ذلك وضعف التمييز والعقل ترقى ذلك الى الاستطالة على الناس بالايدي واللسان والتحكم والطغيان واقتضاء الطاعة لنفسه والخضوع لها ان امكنه ذلك . فان لم يقدر على ذلك امتدح بلسانه واقتصر على ذم الناس والاستهزاء بهم وقد يكون العجب لغير معنى ولغير فضيلة في الحب وهذا من عجيب ما يقع في هذا الباب وهو شيء يسميه عامتنا التمترك وكثيراً ما نراه في النساء وفيمن عقله قريب من عقولهن من الرجال . وهو عجب من ليس فيه

خصلة اصلاً لا علم ولا شجاعة ولا علو حال ولا نسب رفيع
ولا مال يطغيه وهو يعلم مع ذلك انه صفر من ذلك كله
لان هذه الامور لا يغلط فيها من يقذف بالحجارة وانما يغلط
فيها من له ادنى حظ منها فربما يتوهم ان كان ضعيف العقل
انه قد بلغ الغاية القصوى منها . كمن له حظ من علم فهو يظن
انه عالم كامل . كمن له نسب معرق في ظلمة وتجدهم لم يكونوا
ايضاً رفعاء في ظلمهم فتجده لو كان ابن فرعون ذي الاوتاد
ما زاد على اعجابه الذي فيه . اوله شيء من فروسية فهو
يقدر انه يهزم علياً ويأسر الزبير ويقتل خالداً . اوله شيء من
جاه رذل فهو لا يرى الاسكندر على حال . او يكون قوياً على
ان يكسب ما يتوفر بيده مؤمل يفضل عن قوته فلو اخذ
بقرني الشمس لم يزد على ما هو فيه وليس يكثر العجب من
هؤلاء وان كانوا عجباً لكن ممن لا حظ له من علم اصلاً
ولا نسب البتة ولا مال ولا جاه ولا نجدة بل تراه في كفالة
غيره مهتضماً لكل من له ادنى طاقة وهو يعلم انه خال من
كل ذلك وانه لا حظ له في شيء من ذلك ثم هو مع ذلك في

حالة المزهو التياه . ولقد تسببت الي سؤال بعضهم في رفق ولين عن سبب علو نفسه واحتقاره الناس فما وجدت عنده مزيداً على ان قال لي انا حر لست عبد احد فقلت له اكثر من تراه يشاركك في هذه الفضيلة فهم احرار مثلك الاقوماً من العبيد هم اطول منك يداً وامرهم نافذ عليك وعلى كثير من الاحرار فلم اجد عنده زيادة فرجعت الى تفتيش احوالهم ومراعاتها فافكرت في ذلك سنين لا اعلم السبب الباعث لهم على هذا العجب الذي لا سبب له فلم ازل اختبر ما تنطوى عليه نفوسهم بما يبدو من احوالهم ومن مرامهم في كلامهم فاستقر امرهم على انهم يقدرون ان عندهم فضل عقل وتميز رأي اصيل لو امكنتهم الايام من تصريفه لوجدوا فيه متسعاً ولا داروا الممالك الرفيعة ولبان فضلهم على سائر الناس ولو ملكوا مالاً لاحسنوا تصريفه فمن ههنا تسرب اليهم وسرى العجب فيهم وهذا مكان فيه للكلام شعب عجيب ومعارضة معترضة وهو انه ليس شيء من الفضائل كان المرء منه أعرى قوى ظنه في انه استولى عليه واستمر يقينه في انه قد كمل فيه

لا العقل والتمييز حتى انك تجد المجنون المطبق والسكران الطافح يسخران بالصحيح والجاهل الناقص يهزأ بالحكماء وافاضل العلماء والصبيان الصغار يتهكمون بالكهول والسفهاء العيارين يستخفون بالعقلاء المتصاونين وضعفة النساء يستنقصن عقول اكابر الرجال واراءهم وبالجملة فكلما نقص العقل توهم صاحبه انه اوفر الناس عقلاً واكمل تمييزًا ولا يعرض هذا في سائر الفضائل فان العاري منها جملة يدري انه عار منها وانما يدخل الغلط على من له ادني حظ منها وان قل فانه يتوهم حينئذٍ ان كان ضعيف التمييز ان عالي الدرجه فيه ودواء من ذكرنا الفقر والخمول ولا دواء لهم انجع منه والا فدوائهم وضررهم على الناس عظيم جداً فلا تجدهم الا عيابين للناس وقاعين في الاعراض مستهزئين بالجميع مجانبين للحقائق مكبين على الفضول وربما كانوا مع ذلك متعرضين للمشاتمة والمهارشة وربما قصدوا الملاطمة والمضاربة عند ادنى سبب يعرض لهم وقد يكون العجب كمينًا في المرء حتى اذا حصل على ادنى مال او جاه ظهر ذلك عليه وعجز

عقله عن قمعه وستره ومن ظريف ما رأيت في بعض اهل الضعف ان منهم من يغلبه ما يضمر من محبة ولده الصغير وامرأته حتى يصفها بالعقل في المحافل وحتى انه يقول هي أعقل مني وانا اتبرك بوصيتها واما مدحه اياها بالجمال والحسن والعافية فكثير في اهل الضعف جداً حتى كأنه لو كان خاطبها ما زاد على ما يقول في ترغيب السامع في وصفها ولا يكون هذا الا في ضعيف العقل عار من العجب بنفسه (العاقل) من لا يفارق ما اوجبه تمييزه من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد اذا سمع انساناً يغرب في علم ما هذا شيء بارد لم يتقدم اليه ولا قاله قبله احد فان سمع من يبين ما قد قاله غيره قال هذا بارد وقد قيل قبله وهذه طائفة سوء قد نصبت انفسها للقعود على طريق العلم يصدون الناس عنها لتكثر نظراؤهم من الجهال ان الحكيم لا تنفعه حكمته عند الخبيث الطبع بل يظنه خبيثاً مثله وقد شاهدت اقواماً ذوي طبائع ردية وقد تصور في انفسهم الخبيثة ان الناس كلهم على مثل طبائعهم لا يصدقون اصلاً بان احداً هو سالم من رذائلهم بوجه من

الوجوه وهذا اسوأ ما يكون من فساد الطبع والبعد عن الفضل والخير ومن كانت هذه صفته لا ترجى له معافاة ابداً وبالله تعالى التوفيق

العدل حصن يلجأ اليه كل خائف وذلك انك ترى الظالم وغير الظالم اذا رأى من يريد ظلمه دعا الى العدل وانكر الظلم حينئذٍ وذمه ولا يرى احداً يذم من العدل فمن كان العدل في طبعه فهو ساكن في ذلك الحصن الحصين

الاستهانة نوع من انواع الخيانة اذ قد يخونك من لا يستهين بك ومن استهان بك فقد خانك الانصاف فكل مستهين خائن وليس كل خائن مستهيناً الاستهانة بالمتاع دليل على الاستهانة برب المتاع حالان يحسن فيهما ما يقبح في غيرهما وهما المعاتبة والاعتذار فانه يحسن تعديد الايادي وذكر الاحسان وذلك غاية القبح في ما عدا هاتين الحالتين

لا عيب على من مال بطبعه الى بعض القبائح ولو انه اشد العيوب واعظم الرذائل ما لم يظهره بقول او فعل بل يكاد يكون احد ممن اعانه طبعه على الفضائل ولا تكون مغالبة

الطبع الفاسد الا عن قوة عقل فاضل

الخيانة في الحرم اشد من الخيانة في الدماء . العرض اعز على الكريم من المال . ينبغي للكريم ان يصون جسمه بماله ويصون نفسه بجسمه ويصون عرضه بنفسه ويصون دينه بعرضه ولا يصون بدينه شيئاً اصلاً

الخيانة في الاعراض اشد من الخيانة في الاموال وبرهان ذلك انه لا يكاد يوجد من لا يخون في العرض وان قل ذلك منه وكان من اهل الفضل . واما الخيانة في الاموال وان قلت او كثرت فلا تكون الا من رذل بعيد عن الفضل

القياس في احوال الناس قد يكذب في اكثر الامور ويبطل في الاغلب واستعمال ما هذه صفته في الدين لا يجوز المقلد راض ان يغبن عقله ولعله مع ذلك يستعظم ان يغبن في ماله فيخطىء في الوجهين معاً .

لا يكره الغبن في ماله ويستعظمه الا لئيم الطبع دقيق الهمة مهين النفس

من جهل معرفة الفضائل فليعتمد على ما امره الله ورسوله

صلى الله عليه وسلم فانه يحتوي على جميع الفضائل (رب) مخوف كان التحرز منه سبب وقوعه ورب مر كانت المبالغة في طيه سبب انتشاره · ورب اعراض ابلغ في الاستراحة من ادامة النظر · واصل ذلك كله الافراط الخارج عن حد الاعتدال (الفضيلة) وسيطة بين الافراط والتفريط فكلا الطرفين مذموم والفضيلة بينهما محمودة حاشى العقل فانه لا افراط فيه

الخطاء في الحزم خير من الخطاء في التضييع · من العجائب ان الفضائل مستحسنة ومستثقلة والرذائل مستقبحة ومستخفة من اراد الانصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فانه يلوح له وجه تعسفه ·

حد الحزم معرفة الصديق من العدو · وغاية الخرق والضعف جهل العدو من الصديق · لاتسلم عدوك لظالم ولا تظلمه وساو فى ذلك بينه و بين الصديق وتحفظ منه واياك وتقريبه واعلاء قدره فان هذا من فعل النوكى من ساوى بين عدوه وصديقه في التقريب والرفعة فلم يزد على ان زهد الناس في مودته وسهل عليهم عداوته ولم يزد على استخفاف عدوه له

وتمكنه من مقاتله وافساد صديقه على نفسه والحاقه بجملة اعدائه

غاية الخير ان يسلم عدوك من ظلمك ومن تركك اياه للظلم واما تقريبه فمن شيم النوكى الذين قرب منهم التلف . وغاية الشر ان يسلم صديقك من ظلمك واما ابعاده فمن فعل من لا عقل له ومن كتب عليه الشقاء . ليس الحلم تقريب الاعداء ولكنه مسالمتهم مع التحفظ منهم . (قلما) رأيت امرًا امكن فضيع الاوقات فلم يمكن بعد . محن الانسان في دهره كثيرة واعظمها محنته باهل نوعه من الانس . داء الانسان بالناس اعظم من دائه بالسباع الكلبة والافاعي الضارية لان التحفظ من كل ما ذكرنا ممكن ولا يمكن التحفظ من الانس اصلاً

الغالب على الناس : النفاق ومن العجب انه لا يجوز مع ذلك عندهم الا من نافقهم . لو قال قائل في الطبائع مزية لان اطراف الاضداد تلتقي لم يبعد من الصدق وقد نجد نتائج الاضداد تتساوى فنجد المرء يبكي من الفرح ومن الحزن

ونجد فرط المودة يلتقي مع فرط البغضة في تتبع العثرات . وقد يكون ذلك سبباً للقطيعة عند عدم الصبر والانصاف . كل من غلبت عليه طبيعة ما فانه وان بلغ الغاية من الحزم والحذر فانه مصروع اذا كويد من قبلها

كثرة المراتب تعلم صاحبها الكذب لكثرة ضرورته الى الاعتذار بالكذب فيضري عليه ويستسهله . اعدل الشهود على المطبوع على الصدق . وجهه لظهور الاستراية عليه ان وقع في كذبة اوهم بها . واعدل الشهود على الكذاب . لسانه لاضطرابه ونقض بعض كلامه بعضاً . المصيبة في الصديق الناكث اعظم من المصيبة به

اشد الناس استسهالاً للعيوب بلسانه هو اشهدهم استسهالاً لها بفعله وتبين ذلك في مشافهات اهل البذاء ومشاتمات الاراذل البالغين غاية الرذالة من الصناعات الخسيسة من الرجال والنساء كاهل التعيش بالزمز وكنس الحشوش والخادمين في المجاوز وكساكني دور الحمل المباحة لكراء الجماعات والساسة للدواب . فان كل من ذكرنا اشد الخلق رمياً

من بعضهم لبعض بالقبائح واكثرهم عيباً بالفضائح وهم اوغل الناس فيها واشهرهم بها

الاتقاء يذهب السخائم فكان نظر العين للعين يصلح القلوب فلا يسوءك التقاء صديقك بعدوك فان ذلك يفتر امره عنده

اشد الاشياء على الناس الخوف والهم والمرض والفقر واشدها كلها ايلاماً للنفس الهم للفقد من المحبوب . وتوقع المكروه . ثم الخوف . ثم الفقر ودليل ذلك ان الفقر يستعجل ليطرد به الخوف فيبذل المرء ماله كله ليأمن . والخوف والفقر يستعجلان ليطرد بهما المرض فيغرر الانسان في طلب الصحة ويبذل ماله فيها اذا اشفق من الموت ويعود عند تيقنه به لو بذل ماله كله ويسلم ويفيق والخوف يستسهل ليطرد به الهم فيغرر المرء بنفسه ليطرد الهم واشد الناس كلها ألماً وجع ملازم في عضو ما بعينه . واما النفوس الكريمة فالذل عندها اشد من كل ما ذكرنا وهو اسهل المخوفات عند ذوي النفوس اللئيمة

❋ فصل ❋

من غرائب اخلاق النفس ينبغي للعاقل ان لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه وشدة تلويه وتقلبه فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين انه الظالم المتعدي المفرط الظلم ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهراً لقلة المبالاة فيسبق الى نفس من لايحقق النظر انه ظالم وهذا مكان ينبغي التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملة وان لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد الانصاف بما يوجبه الحق على السواء (من عجائب الاخلاق ان الغفله مذمومة وان استعمالها محمود وانما ذلك لان من هو مطبوع على الغفله يستعملها في غير موضعها وفي حيث يجب التحفظ وهي مغيب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجهل فذمت لذلك . واما المتيقظ الطبع فانه لا يضع الغفله الا في موضعها الذي يذم فيه البحث والتقصي ويمدح التغافل فهماً للحقيقة واضراباً عن الطيش واستعمالاً للحلم وتسكيناً للكروه

فلذلك حمدت حالة التغافل وذمت الغفله . وكذلك القول في اظهار الجزع وابطانه وفي اظهار الصبر وابطانه فان اظهار الجزع عند حلول المصائب مذموم لانه عجز مظهره عن ملك نفسه فأظهر أمرا لا فائدة فيه بل هو مذموم في الشريعة وقاطع عما يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما لعله أشنع من الامر الواقع الذي عنه حدث الجزع . فلما كان اظهار الجزع مذموماً كان اظهار ضده محمودا وهو اظهار الصبر لانه ملك للنفس واطراح لما لافائدة فيه واقبال على ما يعدو ينتفع به في الحال وفي المستأنف

وأما استبطان الصبر فمذموم لانه ضعف في الحس وقسوة في النفس وقلة رحمة . وهذه أخلاق سوء لا تكون الا في اهل الشر وخبث الطبيعة وفي النفوس السبعة الردية فلما كان ما ذكرنا يقبح كان ضده محمودا وهو استبطان الجزع لما في ذلك من الرحمة والرقة والفهم لقدر الرزية فصح بهذا ان الاعتدال هو . ان يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى انه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه

شيء من دلائل الجزع وبالله التوفيق . لو علم ذو الرأي الفاسد ما استضر به من فساد تدبيره في السالف لانجح بتركه استعماله فيما يستأنف

✻ فصل في مطامع النفس الى مايستر عنها من كلام مسموع ✻ او شيء يدنى الى المدح وبقاء الذكر

هذان امران لا يكاد يسلم منهما احد الا ساقط الهمة جدا او من راض نفسه الرياضة التامة وقمع قوة نفسه الغضبية قمعا كاملا او عانى مداواة شره النفس الى سماع كلام يستتر به عنها أو رؤية شيء اكتتم به دون ان يفكر فيما غاب عنها من هذا النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في اقطار الارض المتباينة فان اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم عقل البتة وان لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختفى به عنه الا كسائر ما غاب عنه سواء بسواء ولا فرق . ثم ليزيد احتجاجه على هواه فليقل بلسان عقله لنفسه يا نفس أرأيت ان لم تعلمي ان ههنا شيئا اخفى عليك اكنت تطلعين الى معرفة ذلك فلا بد من لا

فليقل لنفسه فكرني الآن كما كنت تكونين لو لم تعلمي بان ههنا شيئاً ستر عنك فتريحي الراحة وتطردي الهم وألم القلق وقبح صفة الشره وتلك غنائم كثيرة وارباح جليلة واعراض فاضلة سنية يرغب العاقل فيها ولا يزهد فيها الا تام النقص . واما من علق وهمه وفكره بان يبعد اسمه في البلاد ويبقى ذكره على الدهر فليفتكر في نفسه وليقل لها يا نفس أرأيت لو ذكرت بافضل الذكر في جميع اقطار المعمور ابدا لابد الى انقضاء الدهر ثم لم يبلغني ذلك ولا عرفت به أكان في ذلك سروراً وغبطة أم لا ولا بد من لا ولا سبيل الى غيرها البتة فاذا صح ذلك وتيقن فليقل يقينا انه اذا مات ولا سبيل له الى علم انه يذكر او انه لا يذكر وكذلك وان كان حيا اذا لم يبلغه ثم يفتكر ايضا في معنيين عظيمين (احدهما) كثرة من خلا من الفضلاء من الانبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم أولا الذين لم يبق على أديم الأرض لهم عند احد من الناس اسم ولا رسم ولا خبر ولا اثر بوجه من الوجوه . ثم من الفضلاء الصالحين من اصحاب الانبياء السالفين ومن الفلاسفة

والعلماء والاخيار وملوك الأمم الدائرة وبناة المدن الخاليه واتباع الملوك ايضا الذين انقطعت اخبارهم ولم يبق لهم عند احد علم ولا لاحد بهم معرفة اصلا البتة · فهل ضر من كان فاضلا منهم ذلك او نقص من فضائلهم او طمس من محاسنهم او حط درجتهم عند بارئهم عز وجل · ومن جهل هذا الامر فليعلم انه ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك من ملوك الاجيال السالفة أبعد مما بايدي الناس من تاريخ ملوك بني اسرائيل فقط · ثم ما بايدينا من تاريخ ملوك اليونان والفرس وكل ذلك لايتجاوز الفي عام فاين ذكر من عمر الدنيا قبل هؤلاء أليس قد دثر وفني وانقطع ونسي البتة وكذلك قال الله تعالى (ورسلا لم نقصصهم عليك) وقال تعالى (وقرونا بين ذلك كثيرا) وقال تعالى (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) فهل الانسان وان ذكر برهة من الدهر الا كمن خلا قبل من الامم الغابرة الذين ذكروا ثم نسوا جملة · ثم ليفتكر الانسان في من ذكر بخير او بشر هل يزيده ذلك عند الله عز وجل درجة او يكسبه فضيلة لم يكن حازها بفعله ايام حياته فاذا كان هذا

كما قلنا فالرغبة في الذكر رغبة غرور ولا معنى له ولا فائدة فيه اصلا لكن انما ينبغي ان يرغب الانسان في الاستكثار من الفضائل واعمال البر التي تستحق من هي فيه الذكر الجميل والثناء الحسن والمدح وحميد الصفة فهي التي تقربه من بارئه تعالى وتجعله مذكورا عنده عز وجل الذكر الذي ينفعه ويحصل على بقاء فائدته ولا يبيد أبد الابد وبالله تعالى التوفيق (شكر المنعم فرض واجب (وانما ذلك بالمفاوضة له بمثل ما احسن فاكثر ثم بالتهمم بامره بحسن الدفاع عنه · ثم بالوفاء له حيا وميتا لمن يتصل به من عاقة واهل كذلك · ثم بالتمادى على وده ونصيحته ونشر محاسنه بالصدق وطي مساويه ما دمت حيا وتوريث ذلك عقبك واهل ودك · وليس من الشكر عونه على الآثام وترك نصيحته فيما يوتغ به دينه ودنياه بل من عاون من احسن اليه على باطل فقد غشه وكفر احسانه وظلمه وجحد انعامه وايضا فان احسان الله تعالى وانعامه على كل حال اعظم واقدم واهنأ من نعمة كل منعم دونه عز وجل فهو تعالى الذي شق لنا الابصار الناظرة

وفتق فينا الآذان السامعة ومنحنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز اللذين بهما استأهلنا ان يخاطبنا وسخر لنا ما في السموات وما في الارض من الكواكب والعناصر ثم تفضل علينا من خلقه شيئاً غير الملائكة المقدسين الذين هم عمار السموات فقط فاين تقع نعم المنعمين من هذه النعم . فمن قدر ان يشكر محسناً اليه بمساعدته على باطل وبمحاباته فيما لا يجوز فقد كفر نعمة اعظم المنعمين وجحد احسان اجل المحسنين اليه ولم يشكر ولي الشكر حقاً ولا حمد اهل الحمد اصلاً وهو الله عز وجل ومن حال بين المحسن اليه وبين الباطل واقامه على مر الحق فقد شكره حقاً وادى واجب حقه عليه مستوفي ولله الحمد اولا وآخراً على كل حال

﴿ فصل في حضور مجالس العلم ﴾

اذا حضرت مجلس العلم فلا يكون حضورك الا حضور مستزيد علما واجرا لا حضور مستغن بما عندك طالباً عثرة

تشنعها او غريبة تشيعها فهذه افعال الاراذل الذين لا يفلحون في العلم ابدا . فاذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيرا على كل حال . وان لم تحضر على هذه النية فجلوسك في منزلك اروح لبدنك واكرم لخلقك واسلم لدينك . فاذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم احد ثلاثة اوجه لا رابع لها وهي . اما تسكت سكوت الجهال فتحصل على اجر النية في المشاهده وعلى الثناء عليك بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس . فان لم تفعل ذلك فاسأل سؤال المتعلم فتحصل على الاربع محاسن وعلى خامسة وهي استزادة العلم . وصفة سؤال المتعلم ان تسأل عما لا تدري فان السؤال عما تدري سخف وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدت فيه لا لك ولا لغيرك وربما ادى الى اكتساب العداوة وهو يعد عين الفضول واياك من ان ان تراجع مراجعة العالم

وصفة ذلك . ان تعارض جوابه بما ينقصه نقصا بينا . فان لم يكن ذلك عندك ولم يكن عندك الا تكرار قولك

او المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة فأمسك . فانك لاتحصل بتكرار ذلك على اجر زائد ولا على تعليم ولا تعلم بل على الغيظ لك ولخصمك والعداوة التي ربما ادت الى المضرات وحسبنا الله ونعم الوكيل

واذا ورد عليك خطاب بلسان او هجمت على كلام في كتاب فاياك ان تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المبالغة قبل ان تتبين بطلانه ببرهان قاطع . وايضاً فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن اياه قبل علمك فتظلم في كلا الوجهين جميعاً ولكن اقبال من يريد حظ نفسه في فهم ما سمع ورأي فالتزيد به علما وقبوله ان كان حسنا . او رده ان كان خطأ فمضمون لك ان فعلت ذلك الاجر الجزيل والحمد الكثير والفضل العميم

فرض على الناس تعلم الخير والعمل به فمن جمع الامرين استوفى الفضلين معا ومن علمه ولم يعمل به فقد احسن في التعليم واساء في ترك العمل به فخاط عملا صالحا وآخر سيئا وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به . وهذا الذي لا خير

فيه امثل حالا واقل ذما من آخر ينهي عن تعلم الخير ويصد عنه . ولو لم ينه عن الشر الا من ليس فيه منه شيء ولا امر بالخير الا من استوعبه لما نهى احد عن شر ولا امر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وحسبك بمن ادى رأيه الى هذا فسادا وسوء طبع وذم حال وبالله تعالى التوفيق

تمت كلمات ابن حزم والحمد لله تعالى وحده وصلاته وسلامه على افضل خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعترته الطاهرين ابدا الى يوم الدين

﴿ كلمات قاسم بك امين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال قاسم امين لا تصحبوا الاشرار فانهم يمنون عليكم بالسلامة منهم

امر لا تدري متى يغشاك لا يمنعك مانع من ان تستعد له قبل ان يفجأك

الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان في جميع ادوار حياته فتارة تخضع للاولى وتارة تتغلب عليها الثانية ولا يوجد رجل مهما بلغ من التربية والعلم يكون آمناً من السقوط يوماً في الرذيلة كما لا يوجد رجل مهما احاطت به الرذيلة الا وفيه استعداد لان يأتي يوماً بافضل الاعمال

وحقيقة الامر ان اخلاق الانسان ليست شيئاً يتم

دفعة واحدة وليس لها حد تقف عنده انما هي في تحليل وتركيب في تكون مستمر يعتريها الانحلال زمناً وتعود بعده الى التماسك

لا يطلب الكمال من المرء وانما يطلب منه ان يكون في كل يوم احسن منه في اليوم الذي مضى

لا تكمل اخلاق المرء الا اذا استوى عنده مدح الناس وذمهم اياه

النفس الضعيفة تنكمش امام الظالم وتهاب كل صاحب سلطة وبعكسها النفس القويه تجد في اظهار جرأتها على هؤلاء وامثالهم منفذاً يخرج منه ما يزيد عندها من القوة عن حاجة حياتها

قلما توجد حقيقة لا يختلط بها بعض الحقيقة لذلك يجمل بنا ان نسمع كل قول

كل مذهب جديد يكره من اجل الحقيقه التي يحتويه عليها ومع ذلك فانه لا يعيش الا بهذه الحقيقه

اجمل الفعال تتغير وتفقد قيمتها اذا وقعت على شكل

غير مستحسن

يكره الرجل الفاضل ولا تثمر افكاره مهما بلغت من العلم والحكمة اذا خاطب الناس مظهراً الاعجاب بنفسه والثقة في عصمته من الخطأ و يبغض الصديق المخلص اذا خالف الذوق السليم وحسن التربية في حديثه ومعاملته مع من يحبهم و يضيع عمل المحسن اذا اقتصر على بذل ماله ولم ينفق معه شيئاً من قلبه فان الناس لا يسألون كم اعطى وانما يسألون كيف اعطى وفي الحقيقة ان طريقة العطاء هي في الغالب احسن مما يعطي

كلما قدرت على ان اقوم بخدمة طلبها مني صديق اسفت على خسارته وعددته عدوًّا جديداً

أتعس البرية انسان ضاع ايمانه يدس الموت بسمه في حياته فيفسد عليه لذتها و ينغص عليه شهوتها

السأمة علامة النفس الشريفه ؟

لا فرق بين من يفشي سرًّا اوتمن عليه و بين من يختلس مالاً أودع عنده

اذا رأيت الرأي العام يرمي احد رجال الحكومة بالخيانة

ساخطاً عليه شديد الرغبة في سقوطه فاعلم انه غالباً رجل طاهر وعامل نافع

واذا رأيت الرأي العام معادياً لكاتب وأعد له خصوماً يتسابقون الى نقض افكاره وهدم مذهبه وعلى الخصوص اذا رأيتهم ذهبوا في مطاعنهم الى السب والقذف فتحقق انه طعن الباطل طعنة مميتة ونصر عليه الحق

س ما هو الرأي العام ؟

ج هو في كثير من الاحوال هذا الجمهور الابله عدو التغيير . خادم الباطل ومعين الظالم

لو انتظر المصلحون دائماً رضاء الراي العام لما تغير العالم عما كان عليه من زمن ادم وحواء

صنف الطعام الذي اعجبك او قطعة الغناء التي اطربتك او ليلة الانس التي راقتك مع محبوبتك او غروب الشمس البديع الذي خفق لاجله قلبك اذا قصدت تكراره فانك لا تستطيع ان تجدد السرور الذي شعرت به لاول مرة فلا

تحاول ان تنال ذلك في اعادته

***

قبيل الغروب وقف بنا وابور النيل الذي كان يحملنا بجانب غيط مزروع وكان يشتغل فيه رجلان لمح احدهما ثعباناً غليظاً قصيراً ففر وهو يصيح (ثعبان ثعبان)

اما الاخر فتقدم اليه حاملاً فأسه وضربه بهـا عدة ضربات حتى قضى عليه ثم تركه في مكانه واخذ سلاحه وعاد الى عمله ولم يتكلم في اثناء ذلك بكلمة وحينئذ تحرك زميله ومشى محترساً على اطراف قدميه شاخصاً الى الحيوان واقترب منه بطيئاً بطيئاً ولما وصل اليه لمسه بطرف الفأس التي كانت في يده وقلبه مرة ثم مرة اخرى حتى اذا تحقق انه مات صاح (يا بن الكلب) وطعنه بالفأس طعنة قوية

ولما رأى الثعبان لا يتحرك امسكه من ذنبه وصعد به الى الجسر وكان في هذه الساعه عامرًا بالمارة فاستوقف الرجال والنساء والاطفال وصار يقص الوقائع عليهم قائلاً (هجم علينا فقتلناه) وفي اخر الرواية يلقي الثعبان على هذا الجمع

فيفرقهم وتصيح النساء ويهرب الاطفال فيضحك هذا البطل الباسل من هذا الجبن . وما زال كذلك حتى جاء الظلام فانصرفوا جميعاً وهو في مقدمتهم حاملاً فريسته. اليس هو ذلك الحال الذى يوجد دائماً مصدراً لمظاهر الحياة الدنيا ترفع من رجال العمل عن حب الزهور وتقذف برجال القول بجراءه ولا حياء عندهم على اغتصاب اعمال غيرهم والتبجح بها تاسبونها لانفسهم

من اعظم ما يصاب به المرء ان يحرم من الذوق السليم. الذوق السليم هو هذا الاحساس الفطرى الذي ينمو ويتهذب بالتربية. هو الشعاع اللطيف الذي يهدي صاحبه الى ان يقول ويفعل ما يناسب المقام ويجتنب ما لا يناسبه .... وعكسه هو الذوق المصطلح عليه بين جماعة الظرفاء عندنا الذين هم على يقين من (ان الذوق لم يخرج من مصر)

ان الذي مدحك بما ليس فيك انما هو مخاطب غيرك ....

معاقبة الشر بالشر اضافة شر الى شر

رب كلمة يتجرعها حليم مخافة ما هو شر منها

اذا استشارك عدوك فاخلص له النصيحة لانه باستشارتك قد خرج من عداوتك ودخل في مودتك

لا يغرنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعرا ..

الحرية الحقيقيه تحتمل ابداء كل رأي ونشر كل مذهب وترويج كل فكر

يقصد الناس التياترات لرؤية الحوادث الغريبة وسماع القصص المضحكة او المبكية والعاقل يكتفي بما يراه حوله ويسمعه يتفرج مجاناً على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ولا مهارة الممثلين

علامة اللئيم كفرانه بنعمة السبب الرئيسي في ايجاده في مركزه

المتكبر خلو من المجد وعزة النفس . حقير بين قومه لفساد اخلاقه اتخذ الكبر حجاباً وهميا ليغير مركزه فسقط من هوة جهله

ما دام الطلاق متروكاً الى رأى الزوج يستحيل ان

يثبت في نفوس الرجال والنساء

ان اساس الزواج فكرة الاستمرار والمعاشرة الى اخر الحيـاه

الزواج عندنا حيازة رجل لامرأة يوماً او شهراً او سنة او عدة سنين حيازة تنتهي بمجرد ارادة الرجل ولا فرق بينها والحيازة غير الشرعية ما جاز الرجل ان يدفع زوجته الى الباب ويقول لها اخرجي

المصريون الذين يفهمون ان للزواج معنى غير مجرد الاستمتاع الموقت هم تابعون لقانون الحب والامانة والاخلاص لنسائهم واولادهم قانون اعلى من مبادىء حب الذات الذي وضعها بعض فقهائهم

كتبت والدة من قدماء المصريين على قبر ابنها (من انتهك حرمة هذا القبر فليكن اخر من يموت ممن يحبهم) كلمة خرجت من نفس ذاقت آلام الحياة بجميع انواعها ودرجاتها . كلمة يفزع من هولها كل من فارق عزيزاً محبوباً

سئل ح . بك ما رأيك في كتاب تحرير المرأة . فاجاب

رديء .. هل قرأته ؟ لا . اما يجب ان نتطلع عليه قبل الحكم برداءته . ما قرأت ولا اقرأ كتاباً يخالف رايي

اخلاق جديدة عند الشبان . علمت ان بعضهم يحمل قوائم تشتمل على معلومات مفصلة عن البنات اللاتي يرشحون انفسهم لخطبتهن وعلى الخصوص عن حالتهن المالية وحال بيوتهن فيرصدون فيها ما تملكه من الاطيان والاماكن وقيمة ما تساويه ومقدار ريعها وسن والدها والامراض التي يكون مصاباً بها وعدد الورثة الذين يتركهم بعد موته الخ معلومات لا يفكر في جمعها اشد المرابين احتياطاً اذا اقترض مبلغاً جسيماً بدون تأمين

اخبرني موظف بالازهر لا يخفى عليه شيء من اسرار الطلبة انه كلما اراد واحد ممن فسدت اخلاقه منهم ان يسير وراء شهوته ذهب الى احد البيوت العمومية وعقد على امرأة بحضور شاهدين على مهر قدره ٥ قروش او ما يقرب من ذلك فاذا قضى شهوته طلقها وخرج معتقداً انه بريء من كل ذنب

رأيت يوماً في شارع الدواوين امرأة تمشي وامامها خادم يظهر من هيئتها انها من عائلة كبيرة طويلة القامة ممتلئة الجسم عمرها بين العشرين والثلاثين في وسطها حزام من الجلد مشدود على خصر رفيع وملاءة منطبقة على جسمها انطباقاً تاماً. الجزء الاسفل بارز عند الارداف ومرسوم تحت ستار الملاءة باعتدال جميل. والقسم الاعلى غير مستور وانما الملاءة مشبوكة في راسها ومسدولة على كتفيها وذراعيها الى المرفقين وعلى وجهها قطعة من الموسلين الرقيق اقل عرضاً من الوجه. تحجب فاها وذقنها حجاباً لطيفاً شفافاً كما تحجب قطع السحاب الرفيع شكل القمر وتترك العيون والحواجب والجبين والشعر الى منتصف الرأس مكشوفة وكانت تمشي خطوات مرتبة يهتز معها جسمها مائجاً كما تفعل الراقصة على المرسح وكانت تخفض جفونها بحركة بطيئة وترفعها كذلك وترسل الى المارة نظرات دعابة ورخاوة وحنان واستسلام وبالاجمال كان مجموعها تحريضاً مهيجاً لحواسهم

بنتي الصغيرة التي عمرها خمس سنين تظن انه يمكنها ان

تأتي بنفسها كل ما تراني اعمله فاذا امسكتها من يديها ورفعتها من الارض لاقبلها تقول لي انا ايضاً ارفعك وتمسكني بيديها من انفاذي وتجهد نفسها حتى يحمقن وجهها لتحملني كما حملتها. واذا رأت ان رجلاً عبر قناة بوثبة تحفزت لتفعل مثله . تظن ان كل ما ترغبه جائز سهل . كذلك الرجل الجاهل يخيل له انه كفء لاصعب الاعمال ومستحق لاعظم المناصب ومساوٍ لارقى الرجال . يظن انه منح استعداداً فطرياً يجعله قديراً على كل شيء وفعال لما يريد . . .

اذا صادقت رجلاً وجب عليك ان تكون صديق صديقه ولا يجب عليك ان تكون عدو عدوه لان هـذا انما يجب على خادمه ولا يجب على مماثل له . من سعادة الحديث ان لا تتم له فضيلة في رذيلة . العقل يشير على النفس بترك القبيح فان لم تقبل منه لم يتركها لانه ليس فيه غضب لكنه يريها اصلح وقت ينبغي ان يفعل ذلك الشيء فيه واحمد جهة يوجد بها لانه يعطي الخير دائماً لمن توكل به . اذا خدمت حازماً فارضه في اسخاط حاشيته . واذا

خدمت ضعيفاً فاسخطه في رضى اتباعه · اتام الحرية من احتمل جنايات المعروف · اذا طلب المتناظران الحق لم يقتتلا في المناظرة لان مطلوبهما واحد واذا طلبا الغلبة اقتتلا لان فيهما غلبتين وكل واحد من الخصمين يطلب ان يجذب صاحبه الى الغلبة التي فيه · اذا اراد الجائر الاساءة سام الرجل ما يعجز عنه فان استعفى حرك الغضب عليه واطاعه فيه ومنعه الغضب من التفكر في العاقبة وفي هذا الوقت يحتجب العقل عن النفس وتكون النفس في تلك الحال كالموضع المظلم الذي قد امتنع من اشراق الشمس عليه · اذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت كان خوف الوسر اشد من خوف العسر · الاسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت والبخلاء يشمتون بالاسخياء عند الفقر · لا تمتطِ الامل والرجاء في كل وقت وحال فانهما يسوقان الرجل في اكثر الأمر الى المكروه بسهولة · الغضب والشهوة وكل خلق من اخلاق النفس له مقدار يصلح فيه حال الشخص الذي يكون فيه

فان زاد على ذلك اخرجه الى الشر لان الغضب يشبه الملح الذي يطرح في الاطعمة فان كان بقدر موافق اصلح الطعام وان كان زائداً افسده وكذلك سائر القوى · اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملك · اللذة في هذا العالم اجرة للخدمة ولولاها ما اكل الناس ولا جامعوا لانه لو كان لا يجامع الا من طلب الولد ولا يأكل الا المشتاق الى البقاء بغير لذة لما فعل هذا اكثر الناس · النيات تحس بما في النيات والقلوب تبصر القلوب ويعرف بعضها عن بعض بما فيها · اقبح ما يكون الصدق في السعاية والضيق في العذر والبخل على من عجز لحريته عن المسألة والسطوة على من يؤمن شره · النفس الفاضله ترتفع عن الفرح وانما يعرض لنا في الشيء اذا نظرنا الى محاسنه دون ما فيه من المحاسن والنفس الفاضلة تتأمل جميع ما فيه فتتكافأ فضائله ورذائله في هذا العالم ولا يغلب عليها احد

هذين الخلقين · طاعة النفس للجسد مثل تخلية الفارس لفرسه اذا ضعف عن ضبطه حتى يعدل عن حاجته التى ركب لها ويشتغل اما بالحضر واما بالرعى وتجد النفس الجاهله راحة في ترك مجاهدتها كتلك الدابة واكثر ملاذ الدنيا على هذا · حذق الملك بسياسة من دونه وحذق الرعية بسياسة من فوقها واما الكاتب والاولياء فحذقهم بسياسة من فوقهم ومن دونهم اذكى فطنة · انظر الى المتنصح والمتقرب اليك فانه ان دخل اليك من مضار الناس فاقبل منه ما انتفعت به واحذر منه وان دخل اليك من حيز العدل والصلاح فيها فاقبلها منه واستشعره · المرأة التى ينظر فيها الانسان الى اخلاقه هي الناس تتبين محاسنك من اوليائك منهم ومساويك من اعدائك فيهم · الحسن التام والقبح التام في هذا العالم انما هو في تأليف قوى النفس وليس هو في تأليف اعضاء البدن والوجه · ليس يخسر العاقل على الصديق لانه ان كان فاضلاً تزين به وان كان سفيهاً حمى بما عرضه من السفهاء وراض به احتماله ·

لا تمدح احداً باكثر مما فيه فانه يصدق نفسه فيكون ما زدته اياه نقصاً لك . لا تركبن امراً حتى تصالح فيه بين العقل والشهوة فان العقل وحده يخشن عليك والشهوة وحدها مردية لك . اظهر البشر للمنعم عليك ولغريمك فانهما يمكان رقك . حركة القوة الغضبية تلقاء الرهبة وحركة القوة الفكرية تلقاء العلة وبها يساس الطبقات الثلاث من الناس اما الطبقة العليا فبالحجة واما الاوساط فبالرغبة واما السفلة فبالرهبة . القحة في الانسان انما هي عمى فكره عن اكثر صور ما يطرأ عليه فهو يمضيها مستهيناً بها لانه لا يتأمل مقاديرها . واذا قامت حجتك في المناظرة على كريم اكرمك ووقرك واذا قامت على خسيس اذاك واضطغنها لك . اذا اردت سوءا بعدوك فاستعرض اخلاقه فانك لا تجدها بأسرها كاملة ولا بد من ان يلحقها النقص فادخل الحيلة اليه من غميزته فانه لا يفوتك الحسود ظالم ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه فلما قصر عنك بعث اليك تأسفه . السخي يبخل عند جمع المال

ويثقل عليه في ذلك الوقت المسألة لان طريق الجمع غير طريق البذل . لا تظن بكل من منع ما يسأل انه بخيل فقد يمنع من طلب السلامة من الناس ومن يكره مداخلتهم له وانفتاح ما لا يملك غلقه منهم ومن يحتاج الى تكلف الاعتذار لهم والانتصار لنفسه منهم فيرى ان يغلق ابواب هذه السبل عنه . الفرق بين المعرفة بالشيء والعلم به ان المعرفة تذكرك ما قد نسيته والعلم به ان تثبت في نفسك من امره ما لم تتصوره قبل ذلك . اللجاج عسر انطباع المعقولات في النفس اما لفرط حدة تكون في الانسان واما لغلظ طبع فلا ينقاد للرأى . لا تذمن ما حمدت الا من بعد شدة الصبر عليه واستعمال حسن المداراة له لانك مرتهن بما فرط منك فيه . كلما قوي تخيل الحيوان زادة منفعته في طاعة الرأى وضرره في طاعة الهوى ولهذا صار الانسان الخير افضل الحيوان والشرير اخسه . اذا اردت ان تعرف طبع الرجل فاستشره فانك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره . اذا اقتضتك النفس جميلا من

اجل العادة فلا تفعله حتى يقضيك الرأي اياه فان طاعة العادات مرذولة . انما صارت الشهوة اقرب الينا من الراي لانا منذ نولد مع الشهوة وانما يتكامل الرأي فينا بعد مدة من مواليدنا فالشهوة اخص بنا منه

اذا كان العشق من اجل قوى النفس ثبت ولم يتغير . واذا كان من اجل الجسد تغير بتغير الصورة والمزاج

البخيل يعد جميع قاصديه اخواناً ورؤساء كراهة ان يقتضيه تفضلهم اياه احساناً اليهم والكريم يتأمر على قاصديه ليبذل لهم اجرة التفضيل

اذا ازدهاك ما تواصفه الناس من محاسنك فانظر فيما بطن من مساويك ولتكن معرفتك بنفسك اوثق عندك من مدح الناس لك

اذا انجز رجل ما وعد من معروف فقد احرز فضيلة الجود والصدق

اذا شاورك من الرؤساء من قد وقفت على فاقته الى رأيك فلا تكلمه كلام آمر ولا مشاور واخرج كلامك في

معرض مستفهم منه ما سنح لك وليرَ فيك الحاجة في عرض كلامك عليه وان حظك في احاده اكثر من حظه في قبول ما احتاج اليه منه

اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع وان خالفها لم يحسن موقعه ممن اريد به

الصوم لجام للنفس الغضبية و يروضها على طاعة النفس الناطقة لان رفع اليدين بالتكبير انما هو استعاذة من وقوع المكروه والركوع على الهيئة التي يقف بها من سمح بنفسه لمن يضرب عنقه والسجود القاء وجهه واكرم اجزائه على الارض وهذه تروض القوة الغضبية على حسن الانقياد

اذا آثرت تأديب احد فاقبضه عن التترف واشعره ببذاذة الهيئة فانه اذا فارق زينة الجدة طاب ان تكون زينته في نفسه ولسانه · ينبغي للعاقل ان يكون رقيباً على نفسه فلا يستعظم الا خطأه و يستصغر صوابه ولا يكثرثه لان الصواب داخل في شرط انسانيته والخطأ مغير لما استقر في نفوس الناس منه

اذا استدعيت المحبة من الناس فانزل دون منزلتك في قلوبهم ولا تكشفن احداً عن زلل فان قلوب الناس وحشية لا تدين لمن كاشفها وان كان اقعد في الصواب منها. بخل العالم باقادة ما اقتناه من ثمار علمه واصوله تحمله على الاقتصار عليه والامساك عن طلب غيره وافادته اياه تبعثه على طلب غيره مما يوثر الاختصاص به

الفرق بين الابانة والبلاغة ان الابانة لا تكون الا لموجود والبلاغة تكون لموجود ومفروض ممن اتى بشريعة اتى بسعاده علوية فمن خالف السعاده كان منحوساً. ليس طلاب الدنيا الذين يأخذون القوت منها وانما طلابها المحتكرون من حطامها

بحب الدنيا صمّت الاسماع عن الحكمة وعميت القلوب عن نور البصيره

ما ابينَ فضيلة الموت اذا كان سبباً للنقلة من عالم التعب الى عالم الراحة ومن عالم الفناء الى عالم البقاء. ينبغي للحازم ان يعدّ للامر الذي يلتمسه كل ما اوجب الرأي في

طالبه ولا يتكل فيه على الاسباب الخارجة عن سعيه مما يدعو اليه الامل وما جرت به العاده فانها ليست له وانما هي الاتفاق الذي لا يثق به الحزمة

من جلس في ظل الحجة امن العدل وقام عذره فيما يجنيه عليه الجائر ومن جلس في ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله وتصرفه مع الطباع وعرفه الناس بالخديعة

الشره هو ان يسبق من كان فيه الى نصيب اللذه قبل نصيب الرأي في الشيء

اذا اسست موضعاً و بالغت في تقويمه فلا تنس حصة جملة العالم منه والا اضطرب عليك من حيث لا تدري . لما كانت المواهب في عالم التركيب لا تقيم على حال واحده ولا بد من وقوع الخلل فيها عاذ العقلاء بالصدقة فجعلوها نصيب الاحداث الواقعة وتسرعوا الى اخراجها فكان في ذلك اكبر الصلاح فيما صلح لهم

الفاقة فساد يقع في الطبقة من الناس كمثل الورم والقرحة في العضو فان تداركه اهل تلك الطبقة فرفعوه عن الشخص

سلمت طبقتهم وان اغفلوه سرى في غير موضعه حتى تبطل تلك الطبقة

الفرح بالشيء على حسب الثقة به · تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو عنه ازراء بالصنيعة وانما يكون قبل هبة الجرم · الغضب كالتابع الرديء الذي يحركك اولاً في مصلحتك فان اطعته حركك في مصلحته

الناس ثلاثة خير وشرير ومهين فالخير هو الذي اقتضيته قبض نفسه عنك ولسانه عن سوء الذكر لك ونكر حسناً ان كان تقدم منك والشرير يقبض نفسه عنك ويطلق لسانه في ذكر معايبك وربما تعدى الى التكذب عليك والمهين لا يقبض نفسه عنك ولا يزال متضرعاً بعفوك ومودة هذا مقترنة باستقامة امورك وصلاح احوالك فاذا انتقلا انتقل عنك بمودته

اذا زاد ما نابك على مقدار استطاعتك فاستعن بمن هو ازيد من علة ما ناب وتضرع كالواله الذي لا يجد معدلاً عمن سأله فان انحسامه عنك على مقدار اخلاصك له

علة العلل تمسك نظام جملة العالم وبه قوامه

الشريعة طاعة القيم على العالم والائتمار له فيما اصلح جملته وتفصيله

حلاوة الفضائل في صدرها وحلاوة الرذائل في وردها.

الساعي اقرب الى الكذب مما سعى به

قد يتوهم الجاهل ان السعاية هي النصيحة وليس الامر على ذلك لان النصيحة صدقك الانسان عما فوضه اليك اذا لزمك الحق تعريفه اياه والسعاية صدقك الانسان عما اقترفه بعض اتباعه وانت تريد الاضرار بالتابع والانتفاع بالمتبوع لا تقديم النصيحة لذلك الانسان

السخيف من حرك غضبه على صورة اللفظ والحصيف من حركه على حقيقة اللفظ والفعل ولم يحرك منه الا بمقدار ما يمنعه من الرحمة لمن لا يستحقها

المرض الذي يحدث عن سبب بادٍ في اكثر الاوقات هو اقل خطراً من المرض الذي لا يعرف سببه

مسام جسم الانسان باسرها تنفتح بانفتاح الجفنين في

اليقظة وتضم انضمامها في النوم

من خدم في حداثته الشهوة والغضب شق عليه في زمان الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة اللذة ومن خدم في حداثته النفس الفكرية وما دلت عليه المعارف شق عليه زمان الشيبة وجاهد القوى الباعثة على اللذات وكان في زمان الشيخوخه مستريحاً

موت الرؤساء اسهل من رئاسة السفلة

لا يضبط الكثير من لم يضبط نفسه الواحده

اذا احببت ان يدوم حبك فاحسن ادبك

ينبغي للرجل ان ينظر الى وجهه في المرآة فان كان حسناً استقبح ان يضيف اليه فعلا قبيحاً وان كان قبيحاً استقبح ان يجمع بين قبيحين

موقع الصواب من الجهال مثل موقع الجهل من العقلاء

اذا ضاقت حالك فاحذر مشورة الافلاس فانه لا يشير بخير

اذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت اخلاقه

للناس

لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق منه وانت لا تدري

لا تفارق طاعة الرأي والصبر في كل امورك فانك ان لم تحرز الحظ الذي تبغيه كنت قد احرزت العذر

طبع المرء اصدق صديق له وليس يتركه لاحد من اخوانه

موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس

ينبغي للعاقل ان يتذكر عند طلاوة الغذاء مرارة الداء

ليكن خوفك من تدبيرك على عدوك فوق خوفك من تدبير عدوك عليك

حرام على الملك السكر لانه حارس المملكة ومن القبيح ان يحتاج الحارس الى من يحرسه

ينبغي للعاقل ان يتخير لمعروفه كما يتخير الارض الزكية لزرعه

الحر ينتفع بجميع من عرفه والنذل ينتفع بنفسه فقط

ينبغي ان يشفق على اولادنا من اشفقنا عليهم

زمان الجائر من الملوك اقصر من زمان العادل لان الجائر مفسد والعادل مصلح وافساد الشيء اسرع من اصلاحه

لا يزال الجائر مهملاً حتى يتخطى الى اركان العماره ومباني الشريعة فاذا قصدها قربت مدته

نهاية جور الجائر ان يقصد من يلابسه ولا ينتفع به بالاذى فمع ذلك ترجى الراحة منه

كل خلق من الاخلاق فهو قد يكسد عند قوم الا الامانه فانها نافقة عند اصناف الناس يفضل بها من كانت فيه حتى ان الآنية اذا لم تنشف كانت اكثر ثمناً من غيرها

اشد الرجل في النعمة على حسب استكانته في المحنة .

اصبر على سلطانك فلست باكبر شغله ولا بك قوام امره . الظفر شافع المذنبين الى الكرماء

اذا حصل عدوك في يدك خرج من جملة اعدائك ودخل في عدة حشمك

من مدحك بما ليس فيك وهو راض عنك من الجميل

خمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك

الفضيلة تجتمع اهلها على المحبة والرذيلة تفرق بين اهلها بالتنافر والبغضة الا ترى ان الصادق يحب الصادق و يستنيم اليه وكذلك الثقة مع الثقة والحسن الخلق مع الحسن الخلق وترى الكاذب يبغض الكاذب والسارق يخاف السارق وكل واحد منهما حذر من مجاورة صاحبه

تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو ازدراء بالصنيعة

الصلف وضع الرجل نفسه بمنزلة لا يستحقها ومطالبته نفسه والناس بما يجب لتلك المنزلة . والتواضع حط الرجل نفسه الى منزلة دون منزلته لغير نقيصة

الفقير اذا تشبه بالغني كان كمن به الورم و يوهم الناس انه سمين وهو يستر ما به من الورم

من ضرر الكذب ان صاحبه ينسى الصورة الحقيقية المحسوسة و يعتقد الصوره الوهمية الكاذبة فيبني عليها امره فيكون غشه قد ابداه بنفسه . وقريب من هذا المعنى ما يحكى عن اشعب الطماع قيل له ما بلغ من طمعك قال :

اوهم الصبيان ان في موضع عرساً فاذا تعادوا تبعتهم طمعاً في ذلك العرس

لا تعان ما قوي فساده فيحيلك الى الفساد قبل ان تحيله الى الصلاح

اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الرأي واذا ضعفت انقطع الى البخت

لست تستدرك بغبن الناس شيئاً من ذات يدك الا اضعت اضعافه من مروءتك

البخلاء عفرهم عن عظيم الجرم اسهل عليهم من المكافأة على صغير الآلاء

اذا اردت ان تعرف طبقتك من الناس فانظر الى من تعجبه لغير علة

العلم صبغ النفس وليس يشرق صبغ الشيء حتى ينظف من ادناسه

اذا نزلت باحدكم المصيبة فليفكر في المصائب العظيمة التي حلت بكثير من الناس ليقل همه

الشعراء والكتاب والعلماء عندنا لا يعبرون عن افكارهم في ما يكتبون وانما عقولهم هي مخازن تحفظ ما يدخل فيها بالقراءة والسماع ومستودعات لافكار غيرهم. يتعاملون بهذه البضاعة التي ليست لهم ولا يضيفون او يعلقون عليها شيئاً من انفسهم. كل عملهم محصور في تكرار افكار الغير التي حفظوها كما يحفظ الاطفال القرآن فاذا سمعهم العامه او قرأوا كلامهم صفقوا ومدحوا وصاحوا. آه فلان ماحلاه علان ليس في العالم مثله

طلب العلم عندنا وسيلة لمزاولة صناعة او للالتحاف بوظيفة اي لكسب المال. اما حب الحقيقة والاستغراق في تحصيلها والشوق الى اكتشاف المجهول ومغالبة الصعوبة والاهتمام بترقية النفس. وبالاجمال التعلم للتعلم فلا فائدة فيه. والفائدة كل الفائدة في هذا الذي لا فائدة فيه

اذا قرأت الجرائد العربية تجدها جميعها متحدة في موضوعها متشابهة في تحريرها بحيث لا تكاد تشعر باختلاف بين احداها والاخرى واذا اجتمعت في اليوم بعشرين

رجلاً من معارفك تسمع من التسعة عشر الاخرين ما سمعته من الاول ولا تجد في الجريدة التي تقرأها او تسمع من الصاحب الذي تقابله فكرة غريبة او تعبيراً جديداً او اسلوباً مبتدعاً. لا تجد النابغة الذي يدهشك ويجذبك بعجائب افكاره الصحيحة

يوجد عدة طرق للتعبير عن فكرة احسنها طريقة واحدة. هي التي يجدها الكاتب المجيد. عقل الانسان المحدود لا يسع غير المحدود. وعلمه القليل لا يصل ادراك المجهول الذي لا نهاية له. ولذلك تراه متى ترك دائرة معلوماته الحسية دخل في عالم الظلام وسار كالاعمى يتخبط يميناً وشمالاً لا فرق في ذلك بين الغبي الجاهل والذكي العالم... المقلد في ايمانه مقصر يحمل عقيدته كما تحمل الوردة في عروة الملابس. والمنكر مجازف جاوز حد العقل والعلم. وابغض منهما من يخادع بدينه فيقول: ان كان الله غير موجود ما خسرت اكثر من غيري وان كان موجوداً ربحت مع الرابحين لذلك أومن به. هذا هو المحتال الذي لا يصان حتى الاله من

نصبه

في ميدان الحرب لا يكون ثبات الجأش الا عند الرجل الذي حضر وقائع سابقة ووقف امام العدو وقاتل يوماً مهاجماً ويوماً مدافعاً كذلك الحال في جهاد النفس لا تجد ثبات الجنان الا عند الرجل الذي عرض نفسه الى استهواء الشهوات وخدائع اللذات فاذا اختبرها بالتجربة وتغلب عليها بعد ذلك كسب قوة الحكم على نفسه التي هي الفضيلة الحقيقية خلافاً للرجل الذي احتجب عن جواذب الشهوات فانه متى وجد امامه فرص مرعية فيها لا يقاوم سلطانها الا قليلاً واذا سلم في نفسه مرة لا يستطيع الخلاص منها · عين الطماع حينما تبصر شيئاً تشتهيه· لها نظرة تحيط به وتحويه برمته وتحوزه وتفعل في نفسك ما يفعله الاختطاف الحقيقي هذه النظرة رأيتها كثيراً عند المعتاد لعب القمار ·· يوجد أناس متى رأيتهم أو سمعتهم تشعر بنقص في خلقهم كانهم صنعوا بغاية السرعة فلم ينالوا حظهم من الاتقان المعهود — تجري امور الدنيا كأن القدرة الالهية لا تلاحظها او كأنها تحابي

الجبناء وتبارك في اعمالهم واعمارهم واموالهم وذريتهم —

اول الحب هزل وفي الغالب آخره جد — فاذا كانت علاقات الحبيبين ترمي الى اختلاط الارواح وتعانق النفوس واختيار الرفيق الوحيد كانت هذه الغاية الشريفة دليلاً على رقي الاخلاق وعلو الشعور ومنبعاً مستمراً يتفجر منه الخير لها ويفيض على الناس — لمَ ذلك — لان العشق هو الاخلاص وبذل النفس للغير وذلك هو كل ما تبتغيه التربية الادبية. كلما اراد الانسان ان يعبر عن احساس حقيقي رأى بعد طول الجهد وكثرة الكلام انه قال شيئاً عادياً اقل مما كان ينتظر ووجد ان احسن ما في نفسه بقي فيها مختفياً — لتصوير احساس كامل وتمثيل أثره في صورة مطابقة للوقع يلزم استعمال الفاظ غير المتداولة الفاظ غير العتيقة البالية — يلزم اختراع الفاظ جديدة — لم أرَ بين جميع من عرفتهم شخصاً يقرأ كل ما وقع تحت نظره من غير لحن. أليس هذا برهاناً كافياً على وجوب اصلاح اللغة العربية — لي رأي في الاعراب اذكره هنا

توجه الاجمال وهو ان تبقى اواخر الكلمات ساكنة لا تتحرك باي عامل من العوامل. بهذه الطريقة وهي طريقة جميع اللغات الافرنكية واللغة التركية ايضاً يمكن حذف قواعد النواصب والجوازم والحال والاشتغال الخ. بدون ان يترتب عليه اخلال باللغة اذ تبقى مفرداتها كما هيه — في اللغات الاخرى يقرأ الانسان ليفهم. اما في اللغة العربية فانه يفهم ليقرأ فاذا اراد ان يقرأ الكلمة المركبة من هذه الاحرف الثلاثة (ع ل م) يمكنه ان يقراها « عَلَم » او « عِلْم » او « عُلِم » او « عَلَّم » او « عَلِمَ » ولا يستطيع ان يختار واحدة هذه الطرق الا بعد ان يفهم معنى الجملة فهي التي تعين النطق الصحيح. لذلك كانت القراءة عندنا من اصعب الفنون — لا ادري ما هي غاية الكتاب الذين اذا ارادوا التعبير عن اختراع جديد يجهدون انفسهم في البحث عن كلمة عربية تقابل الكلمة الاجنبية المصطلح عليها كاستعمالهم مثلاً السيارة بدلاً من الاتوموبيل. ان كان المقصد تقريب المعنى الى الذهن فالكلمة الاجنبية التي

اعتادها الناس تقوم بالوظيفة المطلوبة منها على وجه اتم من الكلمة العربية وان كان قصدهم اثبات ان اللغة العربية لا تحتاج الى اللغات الاخرى فقد كلفوا انفسهم امراً مستحيلاً اذ لم توجد ولن توجد لغة مستقلة عن غيرها هنا مكتفية بنفسها . — يظهر ان باب الاجتهاد أغلق في اللغة كما اقفل في التشريع فقد صار من المقرر بيننا ان اللغة العربية وسعت وتسع كل شيء — لكي يكون هذا الاعتقاد صحيحاً يجب ان نفرض ان هذه اللغة نتيجة معجزة فظهرت كاملة من يوم وجودها في العالم وهذا يناقضه قيام الدليل على ان جميع اللغات خاضعة لقوانين التحول والرقي العام وتابعة في اطوارها لسير الانسانية فهي اذن مظهر من مظاهر غريزتها الطبيعية التي لا تزال تنتج وتبدع كما فعلت في الماضين . ولا ادري لماذا يريد قومنا ان يستبعدوا من اللغة العربية الكلمات الفصيحة وطرق التعبير الجميلة التي تسمعها احياناً في لغة العامة بحجة انها لم ترد على لسان العرب — نحن خلفاء العرب في لغتهم فكل ما تخترعه ملكاتنا

في اللغة بعدُّ عربياً بالطبع —

كان المؤلفون في القرون الوسطى هم ابن سينا وابن رشد وابن مسكويه والفرابي واضرابهم. كانت اللغة العربية لغة الادب والعلم والفلسفة لذلك كانت اوسع واغنى لغات العالم ثم مرت عليها القرون الطويلة وهي واقفة مكانها لا تتحرك خطوة الى الامام واللغة الاوروبية اخذت تتحول وترتقي كلما تقدم اهلها في الآداب والعلوم حتى اصبحت النموذج المطلوب في السهولة والايضاح والدقة والحركة والرشاقة. صارت انفس جوهرة في تاج التمدن الحديث رغماً عن هذا قد اجمع قومنا على ان لغتنا لا تزاد حتى الان حافظة مركزها الاول ويزعمون انها سيدة اللغات كما اجمع عامتنا على ان مصر ام الدنيا

زارني اشهر اديب يكتب الان في مصر باللغة العربية وكان في يدي كتاب فرنسوي يشتمل على حكم ومواعظ موضوعة في جمل مستقلة لارتباط بينها تقرأ فيه عبارة هذه ترجمتها: (اني اخشى ما تمنى) فقال كيف ذلك —

لا بد ان يكون في الطبع خطأ — قلت لا. قال فسر لي حينئذٍ كيف يخشى الانسان الشيء الذي يتمناه. فاجبته كل انسان يخشى ما يكره وليس كل انسان يخشى ما يتمنى وانما هذه صفة بها ذوو النفوس الممتازة وتكون سبباً لشقائهم: يرى الواحد منهم وردة جميلة في البستان فيتمنى ان يقطفها ولكن يبعد عنها ما حولها من الشوك ويشتهي تفاحة جميلة تعجبه بلونها البديع ورائحتها الزكية ولكنه يخشى الدودة الكبيرة التي ربما تصادف اسنانه وقت ان يعض عليها فيلقيها على الارض وهو يشتهيها:

يلاقي المرأة التي كان يراها في مخيلته مثال الجمال فيود ان يلقي نفسه تحت اقدامها ويعطيها قلبه وحياته ولكنه يخشى ان تكون كاذبة كغيرها — يتمنى صديقاً ويخشى ان يجده خائناً يتمنى... يتمنى كل شيء ويخشى ان لا يجد فيه كل ما تخيله وهكذا يقضي حياته بين الامل والخوف من تحققه وتنتهي به الحال الى انه يرى ان السلامة في ترك الاماني

يوجد كلمات الصقها الكتاب بعضها ببعض من قرون طويلة فحيث تكون احداها تكون الاخرى حتى ملت طول العشرة كالعالم العلامة والحسيب النسيب والصديق الحميم والسيدة المصونة. فاما طلاق يرد عليها حرية الاقتران بكلمات اخرى واما على الاقل حيلولة موقتة تستريح في في اثنائها من هذه الشركة القهرية

— في البلاد الحرة قد يجاهر الانسان بان لا وطن له ويكفر بالله ورسله ويطعن على شرائع قومه وآدابهم وعاداتهم ويهزأ بالمباديء التي تقوم عليها حياتهم العائلية والاجتماعية. يقول ويكتب ما شاء في ذلك ولا يفكر احد ولو كان من الد خصومه في الراي ان ينقص شيئاً من احترامه لشخصه متى كان صادراً عن نية حسنة واعتقاد صحيح — كم من الزمن يمر على مصر قبل ان تبلغ هذه الدرجة من الحريه

يفعل الكلام المطبوع في نفس الجاهل فعل السحر فيستولى على عقله فاذا روى عن كتاب قال لنفي كل شبهة

هذا مدون في الكتب واذا نقل عن جريدة قال هذا مذكور في الجرنال فاذا اعترض عليه بان الخبر لا يحتمل الصدق وان الخطأ جائز على صاحب الكتاب او الجرنال اجابك نعم ولكن لا بد ان يكون الكاتب تحرى عن الحقيقة قبل النشر لان صناعته تقضي عليه بذلك —

الكاتب الحقيقي يجتنب استعمال المترادفات فلا يأتي باسمين مختلفين لمعنى واحد في مكان واحد لان ذلك يكون حشواً مستهجناً ودليلاً على فقر في الفكر والخيال ولكن اذا كان المقال يستدعي ذكر عدة معان متقاربة يجمعها معنى واحد فاستعمال المترادفات الموضوعة لها حسن وقد يكون مطلوباً اذا كان لازماً لتسهيل فهمها او اظهار الفروق التي بينها. كذلك الكاتب الجيد لا يضع صفة بجانب الاسم الا اذا اقتضى الحال ان يميزه بصفة مطابقة للواقع على ان الاعتماد على ذكر الصفات والمبالغة فيها بقصد التاثير هو اقل درجات الكتابة ويفضلها بكثير طريقة الكتاب الغربيين الذين يعولون في الوصف على ذكر

الوقائع وشرح ظروفها وتحليلها تحليلاً دقيقاً او تشريح الانسان وفتح جوفه وكشف ما خفي من اعصابه وسبر غور احشائه والتسمع على نفسه لادراك ما يدب فيها من النزعات والخواطر والاميال والحركات ويوصف منظر الشيء بهيكله التام باجزائه كلها ليحدث في نفس القاريء والسامع صورة كاملة وشعوراً تاماً واثراً باقياً

من الذي يحب صاحبه او قريبه او مواطنه اكثر — اهو الذي يكشف الستار عن عيوبه ويظهرها كما هي — ام الذي يغض البصر عن نقائصه ويخفيها عليه ويمدحه ليسره. لا شك ان الاول هو الصديق المكروه والثاني هو العدو المحبوب — اعرف قضاة حكموا بالظلم ليشتهروا بين الناس بالعدل —

ليس بمصر عالم محيط بجميع العلم الانساني وليس بيننا من اختص بفرع مخصوص في العلم ووقف نفسه على الالمام بجميع ما يتعلق به ولم يظهر منا فيلسوف اكتسب شهرة عامة ولا كاتب ذاع صيته امثال هؤلاء هم قادة الرأي

العام عند الامم الاخرى والمرشدين الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا اعدمتهم امة حل محلهم الناصحون الجاهلون والسياسيون المشعوذون — والحقيقة المجردة عن الاوهام والاغراض ان كل ما وجد في مصر من الحرية والنظام والعدل لم يوجد ولم يستمر الا بعمل الاجنبي — لا شيء يشبه العشق في عنفوان نشأته. اذا هجم هذا المستبد القاهر ارتعدت منه الفرائص وحصر اللسان واختبل العقل وخلا الطريق امامه فوصل الى القلب بوثبة واحده او بوثبات متعددة. وحتى احتله تمدد فيه وانتشر وملاءه برمته فلا يقبل منافساً او منازعاً او شريكاً او ضيفاً بجانبه. بل يستأثر وحده بالنفس فيلهيها عن شواغلها وينسيها حاجاتها. ويفرق بينها وبين اميالها. ويذهب همومها واحزانها ولا يطمئن الا اذا قطعت العلاقات مع غيره واصبحت كلها له كانها ولدت معه في يوم واحد وتفني معه في ساعة واحدة لا تعرف ماضيها ولا تبالي بمستقبلها. فاذا تمكن منها على هذه الحال وقبض على زمامها رضيت

بعجزها وشكرته اسرها واغتبطت برقيها ووجدت على باتصالها بنفس اخرى قوة وفرحاً وسعادة لم ترَ مثلها

العاشق عنده ما يكفيه سماؤه صافية مهما تراكمت عليها السحب. ومائدته فاخرة وان لم يكن عليها غير الخبز والملح. تنتابه الحوادث ولا تترك به اثراً لانه لا يعبأ بها سارة او ضارة ويقاوم الحياة بجرأة عجيبة لانه يشعر بان في جسمه روحين وفي صدره قلبين — ان كان من الوجود انسان يستحق ان يحسد على نعمته فهو العاشق — كل عشق شريف فان كان بين شريفين زاد في قيمتهما ورفع من قدرهما. وان كان بين وضيعين اكسبهما شرفاً وقيماً حتى اذا زال العشق سقطت قيمتهما وانحطت مرتبتهما ورجعا الى اصلهما

يشعر العاشق بلذة ساحرة اذا كان محبوباً واذا كان غير محبوب فيجد في المـه لذة اخرى مشابهة السكر من تنبه في الاعصاب وسرعة في دورة الدم وانفعالات شديده في النفس وبالاجمال من زيادة محسوسة في مبلغ الحياة

كلاعب القمار يتمتع بارضاء شهوته في الربح والخساره.

ليس ما يكتب على ابواب الامكنة دائماً صحيحاً. فقد يكون بين سكان البيمارستان من هو اعقل من هذا الذى تراه سائراً في الطريق متمتعاً بحريته. كذلك بيوت المومسات قد تقفل ابوابها على نساء فيهن من هي اوفر حشمة وادباً واكثر بعداً عن الشهوة من كثير من المخدرات اللاتي تنحني الرؤوس امامهن. من اختباري لارباب الافكار الذين اختلطت بهم يظهر لي ان الحمية عندهم سطحية لا تذكيها نار تتوقد في القلب — حمية الفاظ متى انتشرت عادت هباء لا تترك اثراً بعدها — زارني احد اصحابي وكان يرافقه شاب من اقاربه أتم في هذه السنة دروسه وطلب مني ان اتوسط له ليحصل على وظيفة فمددت يدي الى هذا الشاب مسروراً فوضع فيها يداً فاترة وسحبها بسرعة. اشرت عليه بالجلوس على كرسي فاستحسن ان يجلس على (الكنبا) التي اردت ان اخص قريبه بها وقبل ان يجلس شمر بنطلونه بعد ان تحقق من انتظام ثناياه ثم قعد ووضع رجلاً على

الاخرى. سألته عن الوظيفة التي يرغبها فعلمت انه يريد ان يعين في وظيفة مرتبها خمسة وعشرون جنيهاً في الشهر فافهمته انه يطلب المحال وان لوائح الحكومة لا تجيز هذا الطلب فلم يقنع واخذ يقيم الادلة على ان الحكومة اذا شاءت يمكنها ان تعينه بطريقة استثنائية فقلت له ولكن ما هي المسوغات التي تحمل الحكومة على تقرير الاستثناء الذي تطلب ان تتمتع به فقال كفاءتي فقطعت عليه الكلام وكررت له ان طلبه غير مقبول فحول وجهه عني واخذ يفتل شاربه بحركة عصبية ثم التفت اليّ وقال (ممنون نهارك سعيد) وخرج وتبعه قريبه بعد ان اعتذر لي بكلمتين فلما خرجا سرح فكري فيما سمعت ورأيت في حالة هذا الشاب ووردت على خاطري احوال اخرى وقعت من امثاله معي ومع غيري احوال تنذر بوجود حالة ادبية سيئة عند الكثير من شبابنا تجعلهم صنفاً خاصاً لا يشبهون معها شيبة الجيل الماضي التي عاشرت كثيراً من افرادها ولا الشيبة التي عرفتها في البلاد الغربية واختلطت بها زمناً.

هذه الواقعة حركت في نفسي حياتي الماضية ومثلت في ذاكرتي صورة شبان محبوبين متحلين بالآداب والحياء والتواضع والانقياد وكانوا مع ذلك لا ينقصون من جهة المعارف عما يتحصله الشاب في هذه الايام وانما الفرق هو ان الشيء القليل الذي يتعلمه الشاب في هذا الوقت يتورم في مخه حتى يسد فراغه ويجعله يتوهم انه يحمل كنوز السموات والارض.

كنت في ليلة فرح وكانت الحفلة من انغم واجمل ما رأيت من نوعها. أنفق فيها الذهب بلا حساب. وعند الساعة العاشره دخل العروس وصدحت الموسيقى اعلاناً بذلك فقلت لصديق كان جالساً بجانبي: هذا اعلان لعامة الحاضرين بامر سيتم بين الزوجين كان من حسن الذوق ان يبقى مستوراً. وما احسن ما اعتاد الغربيون فان الزوجين منهم يكونان مع المدعوين اذا بهما قد اختفيا عن اعين الحاضرين بدون ان يشعر بهما احد ويغيبان عدة اسابيع فوافقني صديقي على ذلك ثم قال اتريد ان اقص عليك لهذه المناسبة شيئاً رأيته بعيني

قلت نعم فقال

كان سني لا يتجاوز تسع سنين ولا تزال صورة الواقعة التي سأقصها الان محفوظة في ذاكرتي كما لو كانت حصلت منذ أسبوع. كان المنزل المقابل لمنزلنا يستعد شيئاً فشيئاً لحفلة كبيره نصبوا من اجلها سرادقاً واسعاً ووضعوا فيه الكراسي المذهبة وعلقوا البيارق والنجف وكل يوم يمر يزيد في رونق الزينة وترتيبها فلما جاءت الليلة الكبيره اضيئت الشموع وصدحت نغمات الموسيقى وتقاطرت وفود الرجال والنساء الى البيت يدخلون فيه افواجاً فيجلس الرجال في الصيوان وتختفي النساء في بيت الحريم الذي كانت تستطع فيه الانوار وتخرج من نوافذه. ونحن سكان هذا الشارع الصغار عشرين او ثلاثين طفلاً من كل سن كنا اول المتفرجين واكثرهم تمتعاً فرحين بهذه المناظر البرّاقة والانوار الزاهية والاضواء المنتشره نجلس ونقوم ونجري ونضحك ونتشاجر سكارى من ضوضاء الاصوات وضياء الانوار

فلما زف العروس بعد العشاء على الطريقة المعهوده دخل

الى البيت ودخل وراءه بعض الاولاد وكنت من بينهم فرأيت سلم المنزل وفسحة الدور الاول مملوءة بالنساء وهن يتزاحمن للوصول الى الصف الاول ليشاهدن العروس داخلاً . وكان احد اقاربه ماشياً امامه فصار يدفعهن بيديه ليخلي له الطريق حتى وصل الى غرفة عروسه فأدخل فيها واقفل الباب عليه وحينئذ وقف النسوه امام الباب كأنهن يترقبن حادثاً كبيراً وهذا لم يمنعهن من المحادثة والمجادلة والضحك على شكل غير منتظم يستحيل معه التمييز بين من تقول ومن تسمع ومن حين الى حين تنادي احداهن « هس يا ستات » وتستمر هي في الكلام اكثر من غيرها . ما الزمن الذي مضى ونحن على هذا الحال . لا ادري . ثم سمعت صياحاً متكرراً أتى من داخل الغرفة فازداد القلق والاضطراب بين جماعة النساء وما زال يتضاعف حتى أدى بهن الى الدق على الباب وبعد برهة فتح الرجل الباب وظهر عاري الرأس بارق العينين محتقن الوجه وتكلم مع أمه وأم زوجه كلاماً شديداً مصحوباً باشارات الغضب ومن وقت لآخر كان يقول ماذا اصنع .. لا اقدر .

وبعد مداولة صغيرة رجع ودخل وراء المرأتان وتبعه الجيش الذي كان واقفاً وراء الباب مدفوعاً كالسيل وقد جربت معهم حتى صرت قريباً من السرير فرايت العجوزين قعدتا على صدر البنت وقبضت احداهما على ذراعيها والاخرى على فخذيها فزاد صياح البنت وبكائها وتقدم الرجل وبيده خرقة بيضاء رايتها بعد ذلك ملوثة بالدم فخرجت هارباً من هذا المنظر الشنيع لا اشك انهم ذبحوها

***

في عهد الاستبداد في الوقت الذي كانت فيه كلمة من محمد علي او اسماعيل تكفي لاعدام من يغضب عليه او ارساله الى البحر الابيض في تلك الايام السوداء التي كانت فيها حياة الانسان وحريته واملاكه مهددة بانواع الخطر ولم يكن لاحد مهما كان مقامه في الوجود ضمانة تحميه في ذلك العهد ظهر افراد وجدوا من شعورهم ما دفعهم الى صد ارادة الحاكم والتصريح بآرائهم

واليوم زالت اسباب الخوف من الحاكم فهل زادت

قدرة الناس على المجاهرة بالحق والتصريح بآرائهم — من ينظر نظراً سطحياً يظن اننا بلغنا من استقلال الرأى مبلغاً لا ينافسنا فيه احد حيث لا يجد من الامة ادنى اثر للخوف من الحكومة بل يرى بالعكس ان الاستخفاف بها صار عاماً وانه لم يبقَ بين جميع طبقات الموظفين شخص محترم اللهم الا اذا كان جاويش البوليس او خفير الترعة

ولكنه اذا حقق النظر لا يلبث ان يرى ان حرية الانتقاد لم تستعمل الى الان في اعمال الحكومة الا لان هذه النغمة الجديدة تطرب آذان السامعين وتفتح قلوبهم وجيوبهم

اما المسائل الاخرى الدينية والاجتماعية والمتعلقة بالاحوال الشخصية والعادات والاخلاق فلم يتجه فكر الباحثين الى انتقادها فهل لم ير احد منهم فيها عيباً ينتقد ؟ كلا وانما هم يرون العيوب ولا يجرأون على اظهارها

***

قال احد اعيان الاقاليم في هذه الايام التي كثرت فيها الاكتتابات للجمعيات الخيرية والمدارس والكتاتيب

والمستشفيات ولا يمد يده احد الامراء والذوات وكبار الموظفين والاغنياء المقيمين في العاصمة للاشتراك فيها ويتحمل جزأ من مغارمها يجب على عمد القرى واعيانها ان ينشئوا جمعية للدفاع عن اموالهم يسمونها جمعية منكوبي المشروعات الخيرية .

***

ليكن دعاؤك ان يحرسك الله من اصدقائك لانك لا تقدر ان تحترس منهم

الانذال يطردون بالايحاش والاحرار يطردون بفرط التجني

مادحك بما ليس منك مخاطب لغيرك وجوابه وثوابه ساقطان عنك

رأي من دونك في المعرفة لك امثل من رأيك لنفسك لانه خلوٌ من هواك

المظلوم ينتصف بالعادل ولا يكاد يستفي به ممن ظلمه

الحكمة عنوان المطلوبات

اعتنوا بقوام البدن فانه آلة النفس

انظروا لانفسكم وحاموا على قرابتكم

تزينوا بالعدل والبسوا ثوب العفاف تفلحوا

ان الكتاب اذا فارق واضعه فلا بد قبل وقوعه الى من يعرف قدره ويمكنه الانتفاع به من ان يقع في ايدي جهال يستهينون به ويقذفون واضعه بمنزلة ما ينال الصبي من الشتم واللطم من سفهاء الناس

لا ينبغي للرجل ان يتمنى لصديقه الغنى فيزهى عليه ولكن يتمنى ان يساويه في الحال . وسئل افلاطون بماذا ينتقم الانسان من عدوه قال . بان يتزيد فضلاً في نفسه

اذا عاينت الحدث على جرم فاترك موضعاً لجحود ذنبه كيلا يحمله المراء على المكابره

لا تحتقر من الخير قليلاً فان القليل من الخير كثير . وقال لتلامذته اذا كسلتم عن التأديب فطروا مجالسكم بغرائب الاحاديث لتنشطوا

وسئل بما اعرف اني قد صرت حكيماً . قال اذا لم تكن بما قضيت من الرأي معجباً ولم يستفزك عند الذنب الغضب

وسئل عن التجاره فقال · حرص الرجل على الجمع بالشره وقلة القناعة

وقيل له من يخدمك · قال · الذين تخدمونهم هم خدمي

قال المؤلف · يعني بذلك قوتي الشهوه والغضب

وقيل له كيف ينبغي للرجل ان يصنع لئلا يحتاج · فقال ان كان غنياً فليقتصد وان كان فقيراً فليدمن العمل

وقال من شكركم على غير معروف او برّ فعاجلوه بهما والا انعكس الحمد فصار ذماً

وقال · من اثرى من الالفاظ في الصغر افتقر من المعاني في الكبر

قال المؤلف يشير الى من يتوقر في صباه على تعلم اللغات وما يجري معها

وقال · الحلم استيفاء معنى الوقار وضبط النفس عن الصبر على المكروه او عن المحبوب

وقال · الاشرار يتقربون الى الملوك بمساوىء الناس والاخيار يتقربون اليهم بمحاسنهم

وقال · طاعة الصبر في النوائب اسهل من الاسترسال الى الجزع والاجتلاب من فنونه المؤذية

وقال · ارحم ثلاثة عاقلاً يجري عليه حكم جاهل وضعيفاً في ملك قوي وكريماً يرغب الى لئيم

وقال · ينبغي للعاقل ان يكون مع سلطانه كراكب البحر ان سلم بجسمه من الغرق لا يسلم بقلبه من الحذر · وقال · الاشرار يتتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبع الذباب الموضع الفاسد من الجسد ويترك الصحيح منه

لا تستصغر عدوك فيقتحمك · المكروه من زيادة مقداره على تقديرك فيه ·

وقال: لا تقبلن في الاستخدام الا شفاعة الامانة والكفاءة

وقال: من حسن صبره على وعدك حسن صبره على شدائدك · وقال: ينبغي للعاقل ان يستعمل فيما يلتمسه الرفق ومجانبة العنف فان العلقة بهدوّها تلعق من الدم ما لا تلعقه البعوضة في اضطرابها وفرط صياحها

وقال: اقوى ما يكون التصنع في بدئه واقوى ما

يكون الطبع في آخره

وقال : العدل في الشيء صورة واحدة والجور صور كثيره فلهذا سهل ارتكاب الجور وصعب العدل فهما يشبهان الاصابة والخطأ في الرماية فان الاصابة تحتاج الى الارتياض والتعهد والخطأ لا يحتاج الى ذلك.

وقال : الملك كالبحر تستمد منه الانهار فان كان عذباً عذبت وان كان ملحاً ملحت.

وقال : البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله. وقال : لا تلاح الغضبان فانك تعلقه باللجاج ولا ترده الى الصواب.

وقال. لا تفرح بسقطة غيرك فانك لا تدري كيف تتصرف الايام بك. وقال. صير العقل والحق امامك فانك لا تزال حرّاً بهما.

وقال. اذا عدم الرجل الحياء من الفضيحة والصبر على تعب الاكتساب سهل عليه السرق.

وقال. اضرّ من عاشرته مطريك ومغريك ومن

قصرت همته عنك.

وقال. لا تنظرن الى احد بالموضع الذي رتبه فيه زمانه وانظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي

وقال. من تعلم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده ومن تعلمه لجدواه انصرف عنه بانصراف الحظ عن اهله الى ما يكسبه. ويقال ان افلاطون رأى فتى ورث مالاً كثيراً وضياعاً فاتلفها فقال. رأيت الارضين تبلع الناس فهذا الانسان بلع الارضين. ما ينقص من لذات الجسد يزيد في لذة المعرفة

وقال. لا تشتغل فكرك بما ذهب منك بل احفظ ما بقي معك. وقال شرف النفس ان تقبل المحبوب والمكروه قبولاً واحداً.

وقال. كما ان اول مرقاة من السلم هو انفصالك من الارض كذلك اول الخير انفصالك من الشر

وقال. الحكمة كالدر في الصدف في البحر فلا ينال الا بالغواصين الحذّاق

وقال. استعمل الحذر في الطمأنينة والدعة فقلما ينفع

الحذر عنه ورود الحادحة.

وقال. اشقى الناس من اهتم بما يجمع لغيره. قال المؤلف. رأيت في العقل الابدى المنسوب الى كيومرث آدم الفرس «ايها الانسان لا تجمع لبعل امرأتك». قال افلاطون لان يموت الانسان فيخلف مالاً لعدوه خير من ان يحتاج في حياته الى اصدقائه. وسئل ما العشق. فقال. حركة النفس الفارغة لغير فكره. لا ينبغي للاديب ان يخاطب من لا ادب له كما لا ينبغي للصاحي ان ينازع السكران وقيل له كيف يغم الانسان عدوه. قال. بان يصلح نفسه.

وقال. التقوى رأس النجاح والتقى مفتاح الفضائل.

وقال. الفجور من خواص الدواب الدنية وفشوّه يهلك الامة

وقال. الشهوات ضد الفكر.

وقال. فارقوا الدنيا وانتم غير القلق عليها.

وقال. لا ينبغي ان يُختارَ الملكُ بحق السن بل بحق السجية لانه قد يكون الشيخ على خلاف ما يجب والشاب على ما يجب.

وقال · ليكن اول ما يلتمس من الملك صدق اللسان فان في صدق اللسان رغبة الراغب ورهبة الراهب ·

وقال · كما ان في الابنية الكبيرة قد يجيب الصدى وليس هناك شخص كذلك في الناس من له صورة الانسان وليس بانسان ·

قيل · جلس يوماً افلاطون وتلامذته حوله سوى ارسطوطاليس · فقال · لو وجدت مستمعاً لتكلمت · فقيل له ايها الحكيم حولك الف تلميذ · فقال · اريد واحداً كألف · قال بعض الادباء اخذ الشاعر هذا المعني فقال في خالد بن زيد

يا عين فابكي خالداً الف ويدعى واحد

وقال افلاطن · الفرق بين الحق والعدلِ ان الحق هو الذي يعطى كل ذي حق حقه من ذاته والعدل هو المعطي كل ذي حق حقه من الحق · من حسن ان يتصرف مع الزمان ولم يصرفه الزمان فذاك هو السائس الكامل ·

وقال · لا يقدر على تفريع الفروع الا من حفظ الاصول ولا يعرف لذة الثمرة الا من ذاقها وعرف نفعها

وفضيلتها . وقيل لافلاطن . متى يتضجر العاقل قال اذا حملته على مجاورة الجاهل . قيل له . افلا ينبغي ان يجاور الجاهل بلى ان اراد رياضة الفكر .

وقال . الاعتدال في كل شيء واحد وما جاوز الاعتدال فكثير

وقال الملوك ثلثة طبيعي واختياري وحسي فالطبيعي هو الذي يصير اليه الملك من طريق الوراثة والاختياري هو الذي اختاره الخاصة والعامة والحسي هو المتغلب الذي يغتصب الملك وأفضل هؤلاء الثلاثة الاختياري ثم الطبيعي ثم الحسي وان كان الطبيعي متمسكاً بالحق فهو افضل الجميع والحسي وان كان محقاً فهو ثالث في المرتبة لانه غاصب . وقال كون النفس في الجسد واتحادها به كاتحاد نور الشمس بالهواء فاذا عدم الهواء نور الشمس ذهب ضياؤه واذا صادفه استنار كاستناره الشمس

ورأى افلاطون حدثاً جاهلاً شديد العجب فقال له .

وددت اني بالحقيقة مثلك في ظنك وان اعدائي

مثلك بالحقيقة

ويقال ان افلاطون استوطن بلداً وبيئاً فسئل عن ذلك فقال حتى ان لم امتنع من الشهوات لمضرة النفس امتنعت منها بالضروره تجنباً لمضره البدن. محب الشرف هو الذي يتعب نفسه بالنظر في العلم

وسأله بعض الاحداث كيف قدرت على كثره ما تعلم. قال. اني افنيت من الزيت اكثر ما افنيت انت من الشراب وقال. الصور الحسنة بلا ادب مثل اواني الذهب فيها خل. وقال. الجواد هو الذي يعطي بلا مسئلة صيانة للشرف عن المسئلة

وقال. ليس الملك من ملك العبيد والعامة بل من ملك الاحرار. ولا الغني من جمع الاموال بل من دبر الاموال

وقال لا تحزن صغيراً يحتمل الزياده

وقال. لو لم يكن في الترفه الا احتمال العادات الرديئة لكان كافياً فيها

وقال · زيادتك كلمةٍ في مخاطبة الحر احب اليه من زيادتك درهماً في اجرته

وقل · عطية العالم شبيهة بمواهب الله عز وجل لانها لا تنفد عند الجود بها ولكنها توجد بكمالها عند مفيدها ·

وقال · من فضيلة العلم انك لا تستطيع ان يخدمك فيه احد كما يخدمك في سائر الاشياء وانما تخدمه بنفسك ولا يستطيع احد ان يسلبك اياه كما يسلبك غيره من المقتنيات

وقال · احسانك الى الحر يحركه على المكافأة واحسانك الى الوغد يحركه الى معاودة المسألة

وقال · قد يتهيأ للرجل ان يعمل في ايام حياته لما يخلصه بعد مفارقتها الا ترى ان الذين استعملوا تقليل الغذاء وتخفيف البدن قبل الموت احرزوا طول البقاء للجثة وكذلك اذا آثروا الفضائل وترفعوا عن الرذائل لم يكن للشهوة والغضب بهم كبير تعلق وكانت النفس الناطقة مستريحة غير ممنوعة من الخلاص ·

وقال · من اكبر الادلة ان النفس الناطقة موجودة بعد

مفارقة الجسد ما تراه من طول بقاء الجسد بعد الحياة وهو احد جزئي الحي الاخس وليس يجوز ان يكون القيم عليه يقصر عماله من البقاء.

وقال. لا تبذلن في حراسة قنية لك خارجة عنك قوة من قوى نفسك فتصلح البعيد بالقريب وتبيح الخاص للمشترك لان القنية الخارجة عنك تنازعك ملكها وتتبعد لمن هو اقوى بذا منك والقوة منفردة بك وغير قلقة في ملكك.

وقال. ليس يلحق علة العلل برهان وانما يلحق البرهان الاشياء الجزئية لانه انما يصل الجزء بكليته.

وقال. ليس للعقل ان يعلم ما فوق العقل الا من الجهة التي علم الانسان منها ان العقل ثابت فيه.

وقال. النفس التي في الشخص تغالب طبيعته وليس تعرف كل واحدة منها الوقوف على حقها من الاخرى الا بالعقل والنفس تشبه ذبالة القنديل والطبيعة تشبه زيته فاذا زادت قوة واحدة منهما على الاخرى بطل نظامها.

وقال · الدين في اكثر الاوقات اعظم محنة منه في الحال التي احتيج اليه فيها لان الصيانة تعود بغاية الاخلاق وصاحبه مرفوق معه ومستيأس فيه وليس يستحيله الا من صغرت عنده قيمة نفسه وسهل عليه التلبيس والحيلة في المدافعة ·

وقال · القاضي اذا كان موسراً مال مع المطالب واذا كان مملقاً مال مع المطالب ·

وقال · افضل الاسخياء من ملك فاقته ولا يسمح فيها بشيء من فضائله وانقص البخلاء من منع ما يكف غيره ولا يصل اليه عوده ·

وقال · ينبغي ان يشغل الاحداث بتحفظ خواص الاشياء ومجاوي طباعها وموقع بعضها من بعض قبل اوان قوة التفكير فيهم والا كانوا على المعارضة اقوى منهم على تبين الحجة ·

وقال · كلم خصمك ما دام على سنن المناظرة فاذا عدل عنك فاثبت بمكانك منه فانه لا يورد عليك ما يقدح في

قولك ·

وقال · تصرف الانسان وحاله في سائر عمره يشبه الشيء الكوني لانه يبتديء من اخفض حال ثم يرتفع قليلاً قليلاً حتى يبلغ نهايته ثم ينقص مثل ما يزيد حتى يعود الى ما ابتدأ

وقال · النفس الغضبية ابسط من النفس الشهوانية لانها كثيرة التركيب ولذلك هي اعون على الفضيلة من الشهوانية

احسن ما في الانفة الترفع عن معائب الناس وترك الخضوع لما زاد على الكفاية

وقال · من الادلة ان القوة الناطقة تعلم ما في كثير من الازمان الآتية انا نرى الانسان ربما كان خائفاً من ركوب الماء فكانت وفاته من الغرق فيه او خائفاً من شيء فكانت به منيته فيدل ذلك على ان فيها من يرى ما ينزل به وربما تخطى المنية الى غيرها من المصائب ويبغض رجلاً لا ذنب له اليه ولا بعد بينه وبينه في الشبه فيجري عليه منه مكروه ويحب آخر لا يشاكله فيجري له حظ منه ·

وقال · نفوس الاشرار فاسدة الترتيب لانها تصرف

القول الجميل الى انه ستر على الاساءة وليس يفيدها حسن الاحتياط بمقدار ما يبخسها سوء التفهم

البخلاء يكون عفوهم عن عظيم الذنب اليهم اسهل من المكافأة على صغير الاحسان.

الكريم يؤثرك بخلوته عند الرئيس فيذكر له ما وعدك به والنذل يجتنيها لنفسه

ينبغي لمن علم ان يسبق الجاهل الى حسن المداراة فانه يجمع بذلك الفضل والمحبة.

لكل ذي فضل عدو لم يكتسبه يسوءه حسن الذكر له وجميل القول فيه ويرى ان ما شاع من ذلك تبكيت له

وقال. الشرير العالم يسره الطعن المتقدمين في علمه ويسوءه بقاؤهم لانه يؤثر ان يُعرف وحده بذلك العلم لان الغالب عليه شهوة الرئاسة والغلبة والخير يسوءه فقد احد من طبقته في العلم لان رغبته الازدياد من العلم واحياء علمه بالمذاكرة

لا تهب نفسك لغير عقلك فتسيء ملكتها وتضيع زمانها وتخلف فيها من سوء العادة ما يرذلها.

عالم الكون والفساد شبيه بمغارة مدمسه بعيدة المهوى وفي اعلاها طاق يدخل اليها منه شيء من الضياء فما قرب من الطاق اضوأ مما بعد وفيها جماعة يبيعون ويشترون ويتعاشرون قد انسوا بظلمتها واستعملوا مقاييس اكثرها فاسدة في جودة نقودهم فتطلعت نفس احد من تلك المغارة الى التسلق الى موضع الضوء والتماس ما يبغيه فتسنم مواضع شاهقة ولم يزل يتجشم كل مشقه حتى قرب من الطاق ولم يصل الى ملامسته لكنه اشرق من بين يديه وكانت معه دنانير ودراهم مما يستجيدونها في المغارة وتجري عندهم مجرى ما ارتفع الريب فيه فتأملها حيث انتهى به التسلق فوجد بعضها جيداً و بعضها رديئاً فميز رديئها من جيدها ونزل الى المغارة فعرض الجياد عنده على نقاد المغارة فاعترفوا بجودتها فاخرج اليهم ما عزله من الرديئة وسألهم عنها فاستجهلوه وقالوا ما بين الاولى والثانية فرق فضحك منهم وقال لهم ما اشك

في انها رديئة فقالوا كيف هذا وما دليلك عليه فقال رأيتها في هذا الضياء واومأ بيده اليه فاستثقل المستوطن للغارة مقاله واخذ في الرد عليه وكذبه ونازعه قوم فشرعوا يتسلقون الى الضياء فمنهم من شق عليه التسلق فرجع ومنهم من صار معه الى موضعه فصدقه فصاروا فيما يتعاملون به ثلاثة اصناف رجل لم يفكر فيما جاء به المتسلق واقام على ما جرى عليه سلفه غير مرتاب بشيء من تلك النقود وهم اصحاب التقليد الساكنون الى ما امروا به وآخرون ينازعون المتسلق وهم اصحاب الجدل الذين ضعفوا عن الرياضة وقووا على المنازعة وآخرون قد طابقوا المتسلق بما شاهدوه معه وهم خدم العقل الذين رقوا اليه بالمقدمات والنتائج وهجروا في طلب المعقولات ولم يستثقلوا البحث عن الحقائق

وقال · ذوو العيوب يستهدون عيوب الناس و يصدقون من زيادة الخبر عنها ليتسع العذر فيما هم عليه منها ·

ينبغي ان تحظر على الشرار العلوم التي تزيد في قوة النفس وحسن تصرفها ويقتصر بها على الرياضات التي تفتر وقدها

وتردّ الى الاعتدال ما شذّ عنها فان غير هذه من العلوم ان عدل بها عن اهل الفضل الى الشرار كانت لهم كالاجنحة للعقارب التي تعينها على الآفات وتباعدها منها.

اذا ثقل على الرئيس الوعظ ولج في ترك الانقياد للناصح وكذب الممكن واثر التفويض واحتقر الجد من الاعداء فاطلب الخلاص منه.

ينبغي للعاقل ان يصرف حذره الى الشرار واستنامته الى الخيار. — اذا اجتمع للرجل تقدمة عليك في الرأي ووفور امانته فقد استحق ان تقلده وتقبل منه.

المتصنع اذا اجمته يضعف ويلتاث والمطبوع يقوى ويزيد. — اذا استعمل الرئيس النفاق لمن دونه صعب ملقاه ولم يقبل بشرُه وضاعت عوارفه. — من سجايا الحر ان يكون صبره على استصلاح من دونه اكثر من صبره على استعتاب من فوقه واحتماله ممن ضعف عنه اكثر من احتماله ممن قوي عليه.

وقال. اسرع الاشياء الى انحلال النفس تجرع المغايظ

وقصور العادات ورد النصيحة وتضاحك ذوي النجوت بذوي العقول. — ينبغي للعاقل ان لا يتكسب الا بازيد ما فيه ولا يخدم الا المقارب له في خلقه. — اذا خدمت رجلاً رئيساً فتبين ما يحتاج اليه فان المستخدم اما ان يكون انقص منك فيما استخدمك فيه واما ان يكون ازيد منك فيه والناقص عنك محتاج الى ان تقبل تفويضه ولا تتركن شيئاً من اموره بغير تأمل والزائد عليك ينبغي ان تطامعه طامع ما عملت به وتحرز الحجة عنده في كل ما اتيته فانه انما يقيمك مقام حافظ عليه.

وقال. لا تستوف شرائط الاعمال وما يوجبه لها العدل في الازمان المضطربة فيضيع سعيك وتنسب الى التخلف فيما تعانيه ولكن ناسب بعملك طبيعة الزمان ما لم يقدح ذلك في مروءتك ودينك واخلاقك فاذا بلغ هذه الثلاثة نخل عما في يدك منها والا خسرت من نفسك اكثر مما تربحه في ذات يدك.

ليس يحسن البخل الا في اربع الدين والحرم وايام

الحياة والمقاتلة — من جمع الى شرف اصله شرف نفسه فقد قضى الحق الذي عليه واستدعى الفضل بالحجة ومن اغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقهم واستحق ان لا يقدم بهم على غيره.

لا ترغبن الى من قصرت همته عن همتك وزاد حرصه على حرصك وكانت حيلته اوسع من حيلتك.

اذا خدمت من هو اقوى منك في امر من الامور فاظهر له فيه من النزاهة وحسن المواظبة ما تعدل به رجحانه عليك فان خدمت من انت اقوى منه فاكفه مؤونة التعب به ووفر عليه العائد فيه.

الحلم لا ينسب الا الى من قدر على السطوة. — ليس يجب الحمد والذم الا لمعتمد للجميل والقبيح. — ينبغي للحاكم ان يسلك الحدود برفق ولا يخشن على اهل الجرائم فلولاهم ما جلس مجلس الحكم عليهم.

من نقص الشيخ مقامه في رق الامل واشارته ما ضعف من شهوته ومن فضله ان يسعى لطالب البناء بذكره ويعصم

الاحداث عما يغريهم بديه ويورطهم في مكروهه عاقبته ويجتهد ان يثبت باذاء كل رذيلة اقترفها فضيلة قبل تباين اجزائه

الآكل يستمرئ الاطعمة الموافقة له وتستمرئه الاطعمة المخالفة لطبعه. — اذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له اطول من زمان الاستماع به واذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به والفكر فيه اطول من زمان الجمع له

ليس ينتفع بالعلم ولا بالمال سارق لهما ولا محتال فيهما لان هاتين الرذيلتين لا تكونان الا في نفس قبيحة الترتيب والنظام لا يزكو فيها شيء تملكه ولا يثمر. — لا يكن وكدك تقريب علم الشيء على المتعلم وايصاله اليه من غير تعب يلحقه فيه فان هذا يعمر حفظه ويخرب استطابته ولكن لوّح له به وخلّ بينه وبين اجالة فكره فيه وسدده الى طرق الصواب فاذا تبينت الجهل فيه فافتح عليه. — لا تيأسن من خير من ضعف من المشايخ عن الاستعمال حتى يتبين ما معه من التجارب فان كان موسراً فيها فالحاجة اليه ماسة وان كان صفراً منها فقد ارتفعت الرغبة فيه

وقال · اذا احتجت الى المشورة في طاريء عليك فاستبره ببدائه الشبان وردّ الى المشايخ بعقبه وحسن الاختبار فيه ·

رأيُ من وازاك في المعرفة لك امثل من رأيك لنفسك لانه خلو من هواك ·

اعظم قربة الرئيس الى المروءوس الرحمة واكبر ذرائع المروءوس الى الرئيس الطاعة · — لا تطيعن قاصداً لك فيما يغض من مروءتك او يخطر بك وكن عوناً له فيما سوى ذلك · — لا تطيعن احداً في معصية من هو اقدر عليك منه فتتعرض من المكروه لاكثر مما تصديت له من الصلاح

طاعة الصبر على النوائب اسهل من الاسترسال الى الجزع والاجلاب من فنونه المرديـة · — من ملك نفسه اطاعه من دونها · — اول الطب ايناس العليل والتثبت في الاستدلال باعراض العلة على اسبابها واختيار مـا سهل على العليل من الادوية والتدبير

اذا بغى الرئيس ضيع الفرصة وترفع عن الحيلة وانف من التحرز وظن انه يكتفي بنفسه فعندها يصل اليه من

سدد نحوه فيجد عورته فاضحة ومقاتلته بادية. — الانسان في سفيه كالعائم يكافح الجرية في ادباره ويجري معها في اقباله.

وقال. الخير من العلماء من رأى الجاهل بمنزلة الطفل الذي هو بالرحمة احق منه بالغلظة ويعذره بنقصه فيما فرط منه ولا يعذر نفسه في التأخر عن هدايته واحتمال المشقة في تقويمه فان افضل ثمار العلم تقويمه من دونه. — الدليل على ضعف الانسان انه ربما اتاه الحظ من حيث لا يحتسب والمكروه من حيث لا يرتقب.

اقوى ما يكون التصنع في بدئه واقوى ما يكون الطبع في اواخره. — شرف العقل على الهوى ان العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك له. — من اخذ نفسه بالطمع الكاذب كذبته الطبيعة الصادقة — كل ما حملت الحر عليه احتمله وراءه زيادة في شرفه الا التماس حظ جزء من حريته فانه يأباه ولا يجيب اليه. — من خدم الخير لم تذله الامور الطبيعية.

وقال · لا ينبغي للمرء ان يستعمل سوء الظن الا عند انقطاع الرأى · وقال · الرأي يريك غاية الامر في مبدئه

وقال · اذا تحركت صورة الشر ولم تظهر ولدت الفزع واذا ظهرت ولدت الالم واذا تحركت صورة الخير ولم تظهر ولدت الفرح واذا ظهرت ولدت اللذة

وقل · زينة الانسان ثلاثة الحلم والمحبة والحرية ·

وقال · منع الكريم البر والتكرم مع اعطائه حقك احسن من بذل السخى بالاستخفاف والتهاون ·

وقال · ينبغي للحران يصون مروءته من وهمه وحرصه ·

وقال · العزيز النفس هو الذي لا يذل للفاقة

وقال · افضل الملوك من بقى بالعدل ذكره واستحلى من اتى بعده فضائله · وقال موت الملك بدء حركة الزهد من نفوس الخواص في هذا العالم وعبرة العوام

وقال · اعرف للاشياء فضلها تعرف فضلك وانظر اليها من جهة جواهرها ولا تتأملها من جهة اعراضها فان محبتك

لها تدوم وانتفاعك بها يقيم

وقال: الشراب يكشف عن المتصنع سر التصنع وكذلك القدرة فلا تستعمل البطش حيث ينجع القول

وقال: قدم العدل تظفر بالمحبة

وقال: ينبغي للعاقل ان يربي صداقة صديقه بجميل الفعل وحسن التعاهد كما يربي الطفل الذي ولد له والشجرة يغرسها فان ثمرتها ونضرتها بقدر جميل الافتقاد لها

وقال لا تبكتن احداً في الظاهر بما تأتيه في الباطن واستحي من نفسك فانها تلحظ منك ما غاب عن غيرك.

وقال لا تجعل القائد لافاعيلك الوهم ولا تجرد شهوتك من العقل اذا هي جمحت بك واستعن عليها بغضبك والا كنت بهيماً

وقال الحر من وفى ما يجب عليه وتسمح بكثير مما يجب له وصبر من عشيره على ما لا يصبر منه على مثله وكانت حرمة القصد عنده توازي حرمة النسب وذمام المودة له يجوز ذمام الافضال عليه

وقال اذا اشتد فرحك باقبال سلطانك عليك فقد ابتدأ بك السكر ونهايته ان ترى الناس بغير مقاديرهم ويسهل عليك ان تستزم اليهم

وقال لا تشيرن على ملك في احد بما تكره ان يعمله في امرك اذا حللت محله

وقال واظب على من قدمت خلطتك به فان بينك وبينه مناسبة سماوية

وقال اذا اردت ثبات جدة صاحبك فتبين رقته على من اضاق من ذوي الجدات بالنقص ويعرضهم للمكاره ومن زالت عنه الجدة بالغلظة فترقب زوال امره ما تكاد الجدة تهدى الى صاحبها صديقاً فيه خير ولا تكاد الشدة تهدى صديقاً فيه شر

وقال المحبة الصادقة للنفس ان تضعها موضعها ولا تحملها فوق طاقتها بلقاء العقل ويمنعها فرط الشهوات

وقال في النواميس ايناس الخائف افضل من اطعام الجائع.

وقال اعظم من فقد النعمة ما يتخلف في نفوس من زالت عنه

من الشهوات المردية والمذاهب الذميمه وافضل من فقد الشدائد ما يتخلف في نفوس من زالت عنه من قوة الصبر وذكاء الجوارح وسلوك النفس الى الامر المحمود

وقال · غريم المرء يشبه ابطه ان اغفله فضحه وابدى عورة منه كانت مستوره

وقال · الحاذق بالسياسة من الملوك من استخدم الفضائل في الناس والرذائل كما تستخدم الطبيعة فضول الاغذية فتجعلها في اشياء تنتفع بها

وقال ليس يطول التذاذك بشيء حسي ولا طبيعي لانه سريع التنقل والحركة وانما يثبت لك الالتذاذ بالاشياء العقلية التي تثبت ولا تحتاج الى حراسة هيولاها

وقال · احسانك الى من كادك من الشرار والحدة اغلظ عليهم من موقع اساءتهم منك لانك تعمهم به ما تطلع نفوسهم اليه من تمام كيدهم لك وبلوغ المحنة فيك وليس ينكسر منهم باحسانك الا من افرط به ضيق احواله وكان فيه ضعف عن المعاركة

وقال · انقص من كذب لغيره واحسن من الظالم من ظلم لسواه

وقال · البخل يحسن للرفيع التواضع وللنبيه الخمول وللوصول لوحشة والتفرد ويحبب اليه ان يكون رعية بعد ان كان راعياً خوفاً من غلظ الموءن عليه وهو مع هذا ضعيف القلب عن المقاومة والسخاء في ضد هذه الحال والاعتدال اخذ باحسن ما فيهما

وقال · اذا مرق منك تابع الى عدو لك فلا تتبعه سوء ذكر ولا تطلق ذلك فيه لغيرك وحافظ على اسبابه واشع ان خروجه عنك عن مواطأة بينك وبينه وانك نصبته للتخير عليك وهو لا يظهر على لسانك ولكن اطقها وانكر ما يتأدى منها فانك تفسد بذلك محله وتلين قسوته عليك واحذر ان توءيسه من حسن المراجعة بسوء الايقاع في اسبابه

وقال · اذا حاولت امراً فلا تجمح فيه ولا ترمه باكثر من جهدك وكن فيه كالملاح في قطع عرض البحر يسترق الجرية والرياح ويستعمل الاخلاص فيما عجز عنه لانه ربما

كان الاغراق في الامر سبباً لقوته والاخطار بصاحبه فيه.

وقال . حيث تريد القول ينقص العمل وحيث تقع التهمة يضعف الاسترسال

وقال : ليس ينبغي للعاقل الحسن الحال ان يفرح بموت عدوّ له لان الطبيعة لا تتركه بغير عدو ولكن ينبغي ان يكون فرحه موكلاً بارتفاع عداوة الخيار له وميل الشرار اليه ويسهل عليه ما سوى ذلك

وقال . لا تظهر الاسف على شيء اغتصبته في هذا العالم فلو كان لك بالحقيقة لما وصل اليه غيرك

وقال الزمان الرديء يقلب اعيان المنعمين الى المنع والاساءة بما يظهر فيه من كفر الاحسان ومقابلة الجميع بالقبيح

وقال . لا يغرك ما شاع عن رجل الى الايثار له او الى الانحراف عنه واخلط مع الاشاعة عنه الاختبار له .

وقال ينبغي لمن طال لسانه وحسن بيانه ان لا يحدث بغرائب ما سمع فان الحسد لحسن ما يظهر منه يحملهم على

تكذيبه وترك الخوض في الشريعة والا حملتهم المنافسة على تكفيره

***

من الناس من اذا اراد ان يفعل الخير انتهز الوقت المناسب لاعلانه فاذا رأى شهوداً وضع يده في جيبه واخرج كيسه وعد النقود ووضعها ببطء في يد صاحبه بعد ان يراها الحاضرون ولكيلا يبقى عندهم شكا في مقدارها يقول لمن تفضل بمساعدته · خذ هذه الجنيهات العشره · فاذا خرج هذا المسكين التفت الى من حوله وشرح لهم عواطفه وحنوه واعتياده عمل البر ثم كلما اجتمع في نهاره بواحد من معارفه اوجد مناسبة ليقص عليه خبر هذا الحادث العظيم · هـذا الرجل اراد فعل الخير لنفسه فاستعمل صاحب الحاجه وسيلة لذلك

ومنهم من يريد فعل الخير فيقبل على المحتاج فيفتح له قلبه ويصغى الى شكواه ويشاركه في المه ويحزن لحزنه ثم يبذل له من عبارات التسلية وكلمات النصح ما يقويه

عزيمته فاذا قدم اليه مساعدة مادية دسها في وسط الكلام والمحادثة وهو مضطرب خائف ان يجرح احساساً شريفاً. يحتال في انتخاب طرق العرض ويعتذر عن عمله فاذا قبل منه شعر بفرح كمن يكون وقع في ورطة ثم تخلص منها. ذلك هو المحسن الذي يعرف ان للنفس حياء يجب احترامه كما ان في الجسم ما ينبغي غض النظر عنه.

فعل الخير حسن واحسن منه ستره. أقل مراتب العلم ما تعلمه الانسان من الكتب والاساتذه واعظمها ما تعلمه بتجاربه الشخصية في الاشياء والناس. من مروري في المدارس والمكاتب احفظ تذكاراً ثابتاً لا يزول ابداً وهو ـ الخوف من الضرب ـ ففي المكاتب ضرب بالعصي على الارجل او الكتف او الرأس او اي مكان اخر من الجسم وفي المدارس بالنيله المزفته والفلقه ضرب يبقى اثره مدة ايام. كنت اذهب الى محل التعليم مصحوباً باضطراب في العقل وخفقان في القلب وارتعاش في الجسم وبعكس ذلك ارى الان الاطفال يذهبون الى المدارس راضين مسرورين. نتيجة منع الضرب

فيها ودخول الالعاب الرياضية . لا بد ان تكون الغاية النهائية للتربية الادبيه هي العفو عن الخطيئة . العفو عن اكبر خطيئة العفو عن كل خطيئه . هل المخطيء مسئول او غير مسئول؟ وما هي درجة مسئوليته . مسألة عظيمة يجب على من يريد الحكم على غيره ان يحملها . لكن حلها يكاد يكون محالاً اذ لا يستطيع احد ان يلم بجميع العوامل التي تتركب منها الذات الانسانيه بوجهيها الادبي والمادي . والقليل الذي يعلمه من ذلك يبين ان سلطة الاراده على النفس محدوده وخاضعة لموءثرات كثيره شديده تتنازعها وتقارعها وتضعف قوتها على نسبة مجهولة ومقدار لا يصل الى تقديره عقلنا . وكل تاريخ الانسان في الماضي يدل على انه ان لم يكن متولداً عن الحيوان المفترس مباشرة فهو مشابه له في شرهه واطماعه وشهواته . وخلق عليل النفس كما هو مريض الجسم . خلق على ان تكون صحته الجسمية والعقلية صدفة سعيدة وعارضاً موقتاً . فالخطيئة هي الشيء المعتاد الذي لا محل له للاستغراب منه . هي الحالة الطبيعية الملازمة لغريزة الانسان . هي

الميراث الذي تركه آدم وحواء لاولادهما التعساء من يوم
ان اقتربا من الشجرة المحرمة وذاق ثمرتها التي يتخيل لي
انها كانت الد من كل ما ابيح لهما من ذلك اليوم البعيد
لوثت الخطيئة طبيعتهما وانتقلت منهما الى ذريتهما جيلاً
بعد جيل . لذلك هو الحمل الثقيل الذي تئن تحته ارواحنا
الملتهبة شوقاً الى الفضيلة العاجزه عن الحصول على اليسير منها
الا بمقاساة اصعب المجهودات حتى هذا النذر القليل لاسبيل
الى بلوغه الا بتمرين طويل يتخلله حتماً سقوط متكرر في
الخطيئة يكون منه الدرس المفيد لاتقائه في المستقبل واخيراً
فان العفو هو الوسيله الوحيده التي ربما تنفع لاصلاح المذنب
فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسة لا يمكن ان تلين اذا هي
عولجت . الانسان اسير الشهوات ما دام حياً وانما تختلف
شهواته باختلاف سنه فشهوة اللعب عند الطفل وشهوة الحب
عند الشب وشهوة الطمع عند رجل الاربعين وشهوة
السلطه عند شيخ الستين جميعها شهوات تعرض صاحبها
للهفوات واقتراف الخطايا . متى وقع فيها احدنا يجب عليه

ان لا يترك نفسه الى تصرفها ولا يستصعب الخلاص منها ولا ييأس من نفسه بل عليه ان يقاومها كما يقاوم المريض علته . عليه ان يوجه ارادته الى مصارعتها والتغلب عليها . عليه ان يحول فكره عن الامس الذي كان فيه قبيحاً وينظر الى غده الذي يكون فيه جميلاً

يظهر لي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لجهازه العصبي فاكثر الناس استعداداً للرقي هم العصبيون الذين تبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً وتهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث فيظهر اثرها فيهم بكثرة وشدة اولئك هم السعداء التعساء الذين يتمتعون و يتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون فيما بينهم في مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكيمة خيرهم وتوحي اليه اسرارها فيصير شاعراً بليغاً او ولياً طاهراً او فيلسوفاً حكيماً او نبياً كريماً

* * *

لعل اكبر الاسباب في انحطاط الامة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة التمثيل والتصوير والموسيقى هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها الى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال فاهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور

* * *

دخلنا قصر اللوفر وكنا اربعة من المصريين لنتمتع النظار بابدع ما جادت به قرائح اعاظم الرجال في العالم فبعد ان تجولنا في غرفتين جلس احدنا على احد الكراسي قائلاً انا اكتفيت بما رأيت وها انا منتظركم هنـا وقال الثاني اتبعكما انا لاني احب المشي واعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمي وسار مفنا شاخصاً امامه لا يلتفت الى اليمين ولا الى اليسار وما زال كذلك حتى وصلنا قاعة المصاغ والحلى وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر الى الذهب ثم صاح (هذا الطف ما في هذه الدار) وصلنـا الى تمثال الهة الجمال الفريدة في العالم اجمع فسألت دليلنا ماذا تساوي هذه الصورة اذا عرضت للبيع فقال انها تساوي ثروة

اغنى رجل في العالم تساوي كل ما يملكه الانسان تساوي ما يقدره لها حائزها و يطلبه ثمناً لها اذ لا حد لقيمتها

* * *

مهما كان الرأي في حكم الاتراك لمصر فلا ريب عندى ان الامة المصرية استفادت منهم كثيراً . وجدت فيهم انسانية راقية فاقتبست منهم بالمعاشرة والمصاهرة النظافة وترتيب المسكن والتفنن في الملبس والمأكل وكثيراً من العادات الحسنة والصفات الادبية

واذا كان التعليم قرب ما بين الرجال من المسافة فهي لا تزال الى الآن بعيدة بين المرأة التركية والمرأة المصرية حتى انك لترى الرجال المهذبين يتهافتون على طلب الزواج بالاولى بقدر ابتعادهم عن الثانية — واليوم وجد المصريون والاتراك امامهم انسانية ارقى اختلطت بهم اختلاطاً كبيراً فاخذوا يقلدون الاوربيين في جميع شؤون حياتهم ولا ارى ان هذا التقليد سيكون له اثر حميد في انقاذ امتنا من الحال التي هي فيه الان

* * *

كان خمسة من ارباب المعاشات خمسة شيوخ مروا على فروع الادارة المصرية القديمة وتقلبوا في مناصبها العالية من مدبرية الى مجلس الاحكام الى ديوان الاوقاف الى السكك الحديدية اختاروا بيت احد اكبرهم رتبة وصاروا يجتمعون فيه من الصبح الى الظهر ومن العصر الى بعد الغروب جالسين على اكراسي في بستان عتيق مهمل ولكنه واسع الارجاء تطاول اشجاره السماء هواؤه معطر بروائح الزهور لا يصل اليه شيء من ضوضاء الطريق ولا يسمع فيه غير تغريد الطيور ماذا كانوا يقولون و يفعلون؟ كانوا يقضون الايام الباقية من عمرهم مؤتنسين بهذا الاجتماع مكتفين به لسد فراغ حياتهم وفي بعض الاحيان يلعبون النرد فيتقدم منهم اثنان الى ميدان المبارزة و يلتف حولهما الباقون للفرجة واذ ذاك ترتفع اصواتهم — شيش بك — بنج جهار — خانه — اضرب — و يتناقشون بجدة هذا يضحك لانه غالب والاخر يغضب لانه مغلوب فاذا انتهوا من اللعب اخذوا يتحادثون و يذكرون ماضي حياتهم وسيرتهم في اعمالهم بالتفصيل والتدقيق في تواريخ السنين

والشهود ويخرجون من اعماق حافظتهم الامينة حوادث مهمة ووقائع غريبة رأوها او سمعوها ايام حكم الخديو بين السابقين يروونها ويكررونها مرات كلما عرضت لذلك مناسبة ويتخلل هذا الحديث تهكم بقواعد الادارة الحديثة واستهزاء برجال الحكومة الحالية وملاحظات على فساد اخلاق هذا الجيل وعلى اختلال الامن وضياع احترام الصغير للكبير والوضيع للرفيع والمحكوم للحاكم وذلك بعبارات والفاظ هادئة مجردة من حدة الشهوات والتأثر سوى نوع من التألم كان يبدو اثره احياناً على وجوههم . وهناك موضوع كان يتردد في غالب الاحيان في حديثهم هو تقدير سن كل واحد منهم متى طرقوه جرهم الى مناقشات شديدة وعمليات حسابية طويلة وخلط في الارقام والوقائع وعوج في الرأي واباء للحق ومغالطات ظاهرة كانوا هم انفسهم اول من يضحك منها بصوت عال ضخم يسمع دويه من مسافة بعيدة ومهما بلغ جهدهم في الفحص والاخذ والرد فقد بقيت هذه المسألة غامضة وظل كل منهم حافظاً مركزه متمسكاً بزعمه . وفي يوم حضروا كعادتهم الى بيت زميلهم

فوجدوه قد مات في الليل فنقلوا مركز اجتماعهم في اليوم التالي الى بيت احدهم واستمروا هم الاربعة على حالهم المعهودة ولكن نفوسهم كانت تشعر دائماً ببعض الحزن كأن روح فقيدهم كانت تطوف حولهم وتشكو اليهم انفرادها وتدعوهم الى الانضمام اليها فابى ثلاثة منهم هذا النداء المستمر وماتوا واحداً بعد الاخر في مدة قصيرة و بقي خامسهم الى الآن منفرداً كئيباً لا يتكلم ولا يخرج من بيته لا يدري ماذا يصنع بحياته و يرقب الموت الذي يخلصه منها

* * *

اتعرف حسين بك ؟ — لا — ؟ رجل خفيف ولطيف لا تغيب البشاشة عن وجهه ولم يراه احد قط غير مبتسم اذا قال لك نهارك سعيد ضحك واذا اخبرته ان الهواء طيب ضحك او اذا سمع ان زيداً مات ضحك زينة المجالس وانيس النوادي يرى نفسه مكلفاً بوظيفة السرور فيها ومنوطاً بنشر التفريح حوله يستخدم كل شيء للتسلية نفسه واصحابه فيجد

في أهم الحوادث موضوعاً للتنكيت وسيفي لاحسن الرجال عملاً للسخرية . لو ضججت حياتك في اشرف الاعمال لابد أن يفتش فيها عن الجهة التي يتخذها واسطة للاستهزاء بها وجعلها اضحوكة للناس

بين هذا الهذيان القبيح والانتقاد الهزلي الصحيح فرق عظيم الانتقاد الهزلي الصحيح يصدر عن علم وشعور وذوق سليم ينظر الى مواضع العيوب في الانسان وجهات الضعف في الحوادث فيتبسم بسكون ولطف واذا علا صوته للضحك فليس لان الضحك غايته بل يعده وسيلة للفت النظر الى شيء يحزنه وامر يبكيه

غرضه الاصلاح فيجاهد فيه بالطريقة التي يراها مناسبة لاستعداده الطبيعي . لا يحقر احساساً شريفاً ولا يصغر عملاً كبيراً . وانما يحارب الرذائل والدنايا ويلحق بها اخف ما يمكن من الضرر في هذا الاسلوب نبغ عدد كبير من الكتاب الشعراء والقصصيين في اوروبا وعدّوا

من اعظم رجال الادب والفلسفة

تمت كلمات المرحوم قاسم بك امين

﴿ صيحة في واد ﴾

ابتدأ بذكر مقالي ولي كلمة تمهيدية والتمس من القراء غض النظر عن هفوة تلجأ الانسان الى المعذره الى اخوان الوطنية ولست بمفتخر بعمل ولا مختال بفكر ولا جمود في مقالي جرأني على نشر موضوعي الاتي حب الاخلاص والمنفعة العامة مع حسن النية لقوله عليه السلام (انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى) كتبت ذلك وانا اعلم انه لم يرض الكثيرين من الناس ولكنه لجام يلجم اهل البدع والغي وعثرة في سبيل الضالين المضلين . اكتب مقالي واعلم ان الدواء لا يصلح والقلوب لا تخشع والامة لا تعقل . وانما بادر الى ذهني بادر الرجاء فاستلم لمت اليه لعلي أصادف للحق

انصاراً فقدمت تهيدي واعلنت انصار الحق والداعين الى الخير للانضمام معنا لنكون عصابة واحده نعمل بالروية والله عنده نعم الجزاء

انقضب فترة من الدهر يراها الناظر لاول وهلة انها لم تكن شيئاً مذكوراً ويراها الحديد النظر حقائقاً تاريخية ثابتة لا مجال للشك فيها يرى الباحث فيها ان الامة المصرية مثالاً للشرف والشهامة والمروه والفضيلة والعفاف اياماً كانت كمشكاه نور تظهر اشعتها بقوه الاسلام وهيمنته . اياماً انتصر فيها وفاز فوزاً عظيماً . اياماً كان فيها المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص . اياماً طهر الاسلام بنيها من ادران الرذيلة وعلمها كيف تحارب الجبن والجمود حتى صارت كعبة الزوار يحجون اليها من كل فج عميق بقوه آداب بنيها المكتسب من الدين الذال على مستحكماته فى الاخلاق . اياماً كانت فيها خدر الدمن اشرف من الكاعب البكر من صونها اليوم . اياماً كانت تتبارى فيها افكار الافرنج حسداً لابناء مصر وما هم عليه من مكارم الاخلاق وما اودع في تلك الامة من طيب السجايا وشرف

النفس والترفع عن الدنايا . اياماً إنسلخت وصارت اثراً بعد عين كنا نظن وبعض الظن مأثمة

بان ذلك جمع غير منهزم

فلم يبزغ القرن الرابع عشر الا ورجع السيف الى غمده وقامت على اثر غمده الرذيلة تناوشنا والقوم نيام فانقلب الحال وساء المآل واخذت المرأة في الانحطاط مرتدية ثوب التقليد فتاهت في بيداء الجهل فجنت على نفسها جناية اقلها ضرراً تزمرها بين الماحنات ويرى الرجل كل ذلك واين من يتأمل فهل عاد العصر القديم عهد الجاهلية الغابر عهد الجبن والاستبداد عهد الخوف والكفران عهد نكران الحق ذلك العصر القديم قبل الاسلام باعوام عهد علم فيه العزيز براءة يوسف من ذنبه فقال لامرأته وهو يوجس خيفة منها (استغفري لذنبك) هل عاد ذلك العهد حتى وصمت الامة وصار لها من جبنها مسكناً وظهر اناس ذلت اقدامهم في هوة الزلل فخبطوا كمن مس بجنون وصاروا لا يألون جهداً والنفس الخبيثة تميل للتسفل عادة اكتسابية مستهجنة كان من شأنها

هذا الانحطاط الدال على سوء العقبى . واين من يتعظ . تخرج المرأة ملتفة بازارها وقد انتهى بها التبرج الى حد تفوق به عن المومسات . حد يحرك الشهوات السافلة لتسوق أناس الرذلاء الى كل ذي عمل ذميم . واين من يرتدع . افكار كاسده واخلاق فاسده وخطر عظيم على المدنية الحقة والحرية الصادقة والاخاء المتين وطريق صعب المراس يعقبه خسران مبين واين من يتأمل . ترك القوم الدين وقالوا ما لنا والدين ونحن قوم قد تشعبت افكارنا باقاويل الفلاسفة ونوابغ كتاب الافرنج فمالنا والدين وهو من اساطير الاولين . فاتبعوا شططا ما زين لهم الشيطان فما ربحت تجارتهم وما لهم من الله من ناصر . ابتعدوا عن الحق فابتعد الحق عنهم وتنحوا عن الفضيلة فلفظتهم وجنوا ثمار ما زرعوه فاذا هو وبالا وبيلا يأس القوم من رحمة الله فانقطعت الرحمة عنهم ترك القوم العفة فاصبحوا كالوحوش الضارية ينتهكون حرمتهم ولا دين بينهم يردعهم ولا جامعة شريفة تجمعهم ولا ذوق سليم لهم يرعاهم كيف عاقبة المعتدين . قوم استحكمت

فيهم الرذيلة ايامًا قلائل فهدمت مجدهم المشيد فقاموا بطيش يبنون من الخزعبلات مجدًا وبئس ما يفعلون . وتلك شيمة من بات محتقرًا مهانًا فضل سعيه في الحياة الدنيا وما له من عاصم . القوم وقد اخذتهم العزة بالنفس فعلو استكبارًا فابتعدوا عن الحق بعد ان علموا الهدى ومن يضلله الله فما لهم من هاد . ابتعدوا عن حكمة الاسلام بعد ان كانت اقرب اليهم من حبل الوريد . انتشر بينهم داء عضال فاخذ بعضهم على بعض يتلاومون ويتأففون مما ألم بهم وهم قعود عن البحث والتنقيب عن السبب الرئيسي في وهدتهم والعلة في جمودهم وهم في لهوهم يعمهون . انتشر الميكروب الافرنجي في افئدة المصريين ففتك بها فتكًا ذريعًا والامة لم توجس خيفة منه وظنته صديقًا شيمة الغبي الجاهل الذى لا يعرف عدوه من صديقه ولا يفرق بين العقلاء والذين لا يعقلون . ظنته صديقًا وهو يدسها سمًا حتى ضربت في عروقها السموم فانتابتها العلة فاقعدتها وتولاها الخمول فاستأسرتها وسرت عدوى العادات في جسم مجموعها فطاشت

اخلاقها وباتت صريعة الكروب لا تعي شيئاً .
اخذت العادات الافرنجية المملوءة بالقبح مع تشويه وجه
اعمالها تنتاب العادات المصرية الشريفة حتى اخذت منها
مقعدها ثم انقلبت عليها فضلتها وانتهت بها الى سوء
المصير (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) حكمة عالية
وعدالة سامية وقضية مسلمة يرجع حكمها الى الروية
فتفصل فيها فتعلم ان الانسان ظلوماً اذا مسه الشر جزوعاً
واذا مسه الخير منوعاً . اليؤس والرجاء ضدان متناقضان
لفظاً ومعنى . وهما لا يجتمعان في شخص واحد ولا اطالة
هنا لزياده الايضاح . اليؤس اذا تولى على امة سلب منها
حريتها وجعلها تعيش تحت اكناف الاستبداد ولا مناص
لخلاصها الا اذا كان لها من الرجاء نصيباً . اليؤس اذا استحكم
في القلوب خضعها اليه بجبروته وجعلها تحت تصرفه يحكمها
كيفما شاءت اهوائه وتصير في يده آلة يحركها كيف يشاء
طائعة مختارة . اليؤس اذا استولى على القلوب اماتها وسلبها

حياتها وجعلها للشر اقرب من التقوى . اليؤس جمود والجمود علة تزول فلماذا لا نعمل لازالته هل هو علينا فرض لازب ولو نفرض وكان كذلك فهل يصح ان نكون اذلاء مع اننا نرى غيرنا من الامم متمتعة بالحرية التامة ونحن اسراء ضعفاء هل غيرنا اجدر منا قوة . كلا . بل هو اليؤس . قاتله الله . واليؤس موت والرجاء حياة . وذلك برهان جوهري يفهم معناه ان الرجاء متى استحكم قلباً احيا فيه روح الامال و بعث رفاته من قبر الغفلة ونهض به الى السعاده الحكيمة التي طالما تغنى بذكرها فلاسفة الاخلاق . واين من يعمل . انفتحت محال تجار التبرج على ملأ من اعين الناس ولم تجد من الحكومة الا سكوناً ومن الامة الا غفلة واستسلاماً فانتشرت الرذيلة بسرعة في جدران البيوت حتى لم يسلم بيت شريف من الثلم واين من يفقه . انتهت الحال الى حوانيت الصائغين وهناك الطامة الكبرى بل هناك المعضلة التي لا يكاد الناس ان ينتبهوا اليها حتى يكونوا عميا لا يبصرون . فازدحمت نساء القوم على الصائغين واين من يرى و يزجر وينزجر . ايها

القوم اقول ذلك واشعر بان في فؤادي لهيب غمة قد طبن جذاه عاداتكم واعمالكم السئية وبئس ما تفعلون تلتهب في افئدتي سياط الغيره الوطنية وحب الجنسية ونحن اخوان الوطنية بعز عليّ وانا فرد منكم ان تلم بنا تلك العادات التي تنذرنا بسوء العقبى ان لم نرجع عنها . فهل لي ان ارى منكم رجالاً يضمون ايديهم معي لنكون قوه واحده ندعوا الى الحق ونعمل لرقينا ومستقبلنا العمراني والاجتماعي . ايها القوم لا حياه اجتماعية لنا ما دمنا ضالين وكل منا لا يسأل الا عن نفسه . ايها القوم انتم يا دعاة الوطنية يا من خابت فيكم الامال . اي يوم ارى منكم شريفاً يعمل لاخيه كما يجب لنفسه الم تعلموا انكم اخواناً فاذا دبت فيكم روح العداوه وانتشر بينكم الفساد قلما ان تروا ان تحكموا انفسكم انتم يا من تزعمون الحرية وانتم عنها بعيدون الم تعلموا انكم بعملكم هذا تؤيدون سلطة الدخيل وتضلون السبيل . ايها القوم ان كان عملكم حقاً فهذه يد فضموا ايديكم معها لنكون عصبة واحده والا فانها ضعيفة بمفردها . ايها القوم اسرعوا واتحدوا واعملوا

صائح داخليتكم وكفى جمود الماضي والا فخلل ليس بالهين
بل مصاب كبير يجعلكم تعضون اصابع الندم على تفرطكم
فيه من ضياع سياج الفضيلة بينكم. ايها القوم ثباتاً في هذا
الموقف الحرج ولا يكون مثالكم مثال الذين يقولون سمعنا
وهم لا يسمعون . ايها القوم اليكم صيحة القلم على القرطاس
صحيحة تقرع الافئدة فاعيروها التفاتاً فلقد سبق لي ان قدمت
لكم ثلاث كتب مطبوعة وكلها تنطق بلسان واحد لتعضيد
الفضيلة وهم دار التهذيب وتهذيب المرأة وتعيسات على مذبح
الانسانيه فلم اجد منكم غير المستهزئ والجاهل كأن الفضيلة لم
تكن بينكم شيئاً مذكوراً وكأنكم لم توجدوا في الحياة الا
لتكونوا انداداً لله وللحق مبغضين . ما بالكم يا قوم اخذتكم سنة
النوم وصرتم في حضيض التعاسة والغفلة ساهون عن نسائكم
كأنكم صم بكم لا تعقلون . ما بالكم يا قوم وقد هوى بكم
الجهل الى الهاوية وبئس المصير . ما بالكم يا قوم وانتم المنسوبون
الى الانسانة والداعون الى المدنية والذين تناشدون الدخلاء
بالانجلاء عن مواطنكم وتزعمون انكم اكفاء لحكم انفسكم

فما بالكم واليوم تشهد عليكم اعمالكم انكم لم تحسنوا صنعاً ·
الا تعساً لقوم كان من امرهم انهم يقولون ولا يفعلون واذا
سمعوا الذكر قالوا آمنا وهم لا يؤمنون · ما بالكم ايها القوم
قد علت الضجة وصاحت امامكم الفضيلة قائلة لي عملي ولكم
عملكم اني بريء مما كنتم تعملون ما بالكم يا قوم وقد فسدت
حالتكم الاجتماعية بينما انتم ترتعون وفي لهوكم تلعبون وعن
الحق بعيدون · ما بالكم يا قوم نيام ولا عمل لكم شريف
تضحدون به قول من يساجلكم الحجة بالحجة والبرهان
بالبرهان · اين نبالتكم التي تدعونها · اين مروءتكم التي تزعمونها
اين الفضيلة التي تنشدونها اجيبوا ايها الصور المتحركة ان
كنتم من الصادقين

علي محمود
الخطاب

علة الاسلام

علة الشيء القائم به ثمنه الرفعة ومنه الوهدة ان اعوج عن سبله وصار مثال السوس ينخر فى عظام الهيئة العمومية

شرع الشارع في تمهيد صراط مستقيم يسير فيه مع من اتبعه فاهتدى الى الوفاق واجعله انموذجاً لمشروعه ونشر كلمة الحق وعامل الناس بالمعروف وحلاهم بصفات الكمال فكثر انصاره وجاهد جهاداً عنيفاً لمحاربة الرذيلة والاخلاق السافلة فصار الناس لا سمير لهم في انديتهم الا ذكره وفضائله فالتف به وقتئذٍ جم نفير ممن هداهم الله وازال عن ابصارهم الغشاوة ووهبهم قوة من لدنه وايدهم بروح منه فقاموا بما فرضهم الله عليهم وباعوا الحياة الدنيا بالاخرة متأهبين لنصرة الحق ولو كره الكافرون فظهر وقتئذٍ الاسلام يتجلى امام الملاء مرتد ثوبه الابيض الناصع وعليه عظمة الله وفي نضارة الشباب و وقف وقفة الحازم وقد تجلت الملائكه من بين يديه ومن خلفه ونشار على ابنائه يحييهم وينشدهم المساواة ونبذ الرذيلة

فكبر الموحدون واتبعه لذين يعقلون . وتوفي بعدئذٍ الشارع وقام من بعده الخلفاء يرشدون الناس الى الحسنى ابتغاء مرضاة الله ونفع الانسانيـة فظهرت روح العدل والمساواة بين الناس حتى وقد قام امير المؤمنين عمر ابن الخطاب بالقاء خطابة بين جمع محتشد فقال في سياق حديثه باعلا صوته من يرى في عمر اعوجاجاً فليقومه . فقال احدهم لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه باسنة رماحنا وتلك هي العدالة الحقة والانصاف الذى لا ريب فيه ولم يزل الاسلام جولة الحكيم وسياحة العاقل وادب المتكلم وقد ظهر التمدن منفجراً من نوره وانتشر رجاله فدوي صوته في انحاء المسكونة فاجتبوه الناس ورحبوا به واحلوه سويداء قلوبهم وفادوه بارواحهم واتسع مجال الادب وكثر العلماء العاملون وظهروا في ميدان الحكمة مبرزين اقلامهم لدى الصحف فسطروا فيها احسن ما ودع من براذخ افكارهم فصارت الامه الاسلامية مثال العفة والطهارة يجتبيها من اتقى ويضل عنها من اشقى

بينما تلك الامة في سرورها لا يكدر صفوها شائبة

واذا بهـا اخذت في الانحطاط وذلك لتذمر رؤسائها الارذيلة واقامة ما نهى الله عنه وانتهاك شعوره

فخلق الجهـل جنينـاً ثم ظهر طفلاً وتربى في بيوت الثراء الى ان بلغ اشده فخانت الظروف ان تتحول فتلاشت المعارف واندثرت العلوم واخذ الانحطاط يستزاد حتى ذهب ذلك الدين الحنيف وصار اثره على الاوراق عند اناس غير عاملين فاتخذ السفهاء الجهل روحاً وبثوا فيه ما شاءت سذاجتهم وسموه ديناً فظن الذين لا يعقلون ان ذلك هو الدين فحباه ذو الاغراض الفاسدة ونكروه الذين هداهم الله الى الحسنى فاتبعوا السنة ونعم ما هم يفعلون

ولما فشى الجهل في انحاء المدينة انعكست فصارت رذيلة فشعر الذين يعلمون فقاموا يندبون على تلك الوحشيات التي تستزاد ولا نهاية لها وقاما استاذاى الشرق المرحومـان العلامتان الشيخ محمد عبده وقاسم امين بك يحثون الناس الى سبيل الهداية والكف عن الاخلاق الهمجية فقام عليهما المعارضون يحاجونهما بحجج واهية الادلة حشوها بالتدليس

فطمست على عيون الناس وتخوفوا من هذين الاستاذين ولكنهم لو يعقلوا لم يفعلوا

اما ذنبي هذان الاستاذان الذين اخذوهما المضلين عليهما لان المرحوم قاسم امين يريد تحرير المرأة وتهذيبها الى الدرجة الكمالية والمرحوم محمد عبده لانه يريد اصلاح المحاكم الشرعية التي نسبت الى الشرع افتراء فاراد الرجل ان يطهرها من تلك المكروبات التي فشيت من اصحاب العمائم الذين يضربون على عقول الناس ليقضوا على حياة ذلك الدين الحنيف ولكنهما ما نشرا رأيهما حتى قام على اثارهما المعارضين البلهاء الذين لا قدرة لهم على اتيان الحجة لنفي الحجة وسيء ما كانوا يفعلون

قم ايها القاري وتمشى في الاسواق وانظر الى المرأة ثم ارجع الى بيتك وانضجع وسرح فكرك في ميدان الحياة وانصب القسطاس المستقيم امامك وزن الحق فتراه قائدك فاتبعه فتكون بصيراً خبيراً

ثم عاود الكرة مرة اخرى في ساحة المحكمة الشرعيه

واصغي لما يوحيه اليك ضميرك وبعدئذ كن كما شئت وذكر الناس فالذكرى تنفع المؤمنين

﴿ الطلاق ﴾

يمتد من معنى بسيط لو رجع امره لحازم لحل معضلته وعاشا الزوجين في صفوة الحياه ولكن انى لنا ذلك وعمائنا من الصم البكم الذين لا يعقلون الذين اضلهم الله على علم فباوءا بالخسران المبين

يقترن الفتى الفقير عندنا بفتاة تخفف عنه وطأة المتاعب ولكنهما لم يلبثا غير شهور او اسابيع حتى يقيما اللجاج والمشاحنة اثر كلمة فتذهب المرأه الى بيت اهلها وتقيم لسانها مترجماً عن الحط بمقام الزوج وكل اهلها اذن صاغية فيتعمدون للزوج النكبات واهله كذلك وما هي والحق الا كلمات صدرت عن تهيج نفساني وان الاستبداد الطبيعي الذي عرفته الفتاة منذ نعومة اظفارها ومما تلقته عن من احتشدت به صار في قلبها منقوشاً فضغط الحق فاماته وماتت على اثره

عواطفها وصار على قلوب اهلها اكنة ان يفقهوا الحق بروية وفي اذانهم وقرًا

اما تلك المشاحنة فلم تمنع حب الزوجين لبعضهما لان امالها بـه مرتبطة ليعيشان رغدًا في الحياه ومنعًا لتأدب فريق منهم انت تلك المعركة الهينة التي تزول باشباهها ولكل داء دواء ·

واننا لو بحثنا عن العلة في الطلاق نرى السبب الرئيسي في ذلك هو احتشاد المتقولين الذين يحكمون بغير روية لاشعال نار الحقد بين العائلات حتى وانك ترى الفتاة وهي في نضارة الشباب كالبساط ينضجع عليه الكثير من الناس وتلك هي مثال الوحشية · وان ذات تأخرنا والهوة بنا الى الحضيض هي تلك الحروب الجهنمية التي تقام نيرانها مضطرمة من اطراف العائلات ويا ليت شعري كيف يتشي لهم ان ينجحوا وهم بين نقيض وخصام

يذهبون اهل الفتاة الى رجل من ذوي العمائم محترف بالمحاماه امـام المحاكم الشرعية فيبثون اليه قصتهم وانهم

يريدون طلاق فتاتهم فيضع اصابعه نحو رأسه ويحنيها قليلاً (كالمتفكر) ثم يرفع رأسه مبتسماً ويسير هو الاخر في سبيل ضلالهم جزاء نقود يأخذها منهم ويبكر رافعاً دعوته لدى المحكمة الشرعية حتى اذا ازف الوقت وحانت الظروف يجمعهم في قاعة المحكمة رأيت الزوج والمحامي امام قاض كانه (الفونغراف) لا يدري ماذا يقول لسانه ولا يفحص في القضية حتى يدرك ماهيتها بل انه يخبط خبط عشواء ويسيء الناس باسم الدين والله يتعالى عن النقيصة علواً كبيراً — ما هو حكمه في ذلك — اولاً يقول للزوج ارح زوجتك — وهي كلمة واهية — ثانياً يقول ان لم تحسن السير معهـا فطلقها — وهي الاخرى كلمة بهـا ندرك ماهية القضاه الذين ما فهموا من ادلات القضية ما نرتاح لاجله — اما حكمه النهائي فهو نفقة وكسوة وسكن وتنفض القضية على ذلك بعد استدعاء شاهدان يشهدان افتراء ... — اذا كان الزوج معدماً وليس له من العيش الا دقيقه فمن اين يأتي لتلك الزوجة بالنفقة التي تضره اكثر من ان تصلحه لان

مقدار النفقة (خصوصاً اذا كان المحامي من الذين لا يخشون ربهم واهمال المكاسب على الزوج واتى بشهوده الذين ينطقون لغواً فحققاً بانها تصرم حبل امال الزوج فيوعم الى طلاقها ارتياحاً من عناء يتكبده من الام دار الحياه ولربما يشرب سماً زعافاً يدني اليه قاصي اجله او يتعود عمل قبيح به يفسد ذوات الخدر من بيوتهن ويجرهن الى الشقاء . واعجب بالقضاة كيف يقبلون شهود من طرف احدهما ولم يدعون شهوداً من طرف الاخر حتى يقيموا الحجة بالبراهين الساطعة والحق يقال ان ذلك تهاون منهم فان بوجودهم علة في الرقي والتبعية في عنق الجمود الذين لا يصلحون

فيا قوم

اذا كان الطلاق رائدكم وحركة لسانكم فمن اين يجوز لكم ان تتحدوا وهـذا مقدار اعوجاجكم وحسبي بكم تلك الامة التي تنادي باعلا صوتها طالبة للاستقلال أهل يجوز لكم الاستقلال وانتم في هرج ومرج فانظروا اولاً في المرأة التي هي بمثابة اعمدة ترفعون عليها الاستقلال فان وجدتم

منها قوة فطالبوا بالاستقلال والا فدعوا البيت لبانيه والقوس
لباريه والسلام علي محمود الحطاب

مطبوعات حديثة

على نفقة حضرة علي افندي محمود الحطاب
وتطلب من ابرهيم سليمان بمنتديات المنشية

عدد	صاغ
٣	ادب الندماء ولطائف الظرفاء لابن كشاجم
٣	الملل والنحل لحجة الاسلام للغزالى
٢	ديوان محمود باشا سامي البارودي
٢	كلمات في الاخلاق لشاب مصري
٣	شرح فصول ابقراط
٣	الاخلاق والامم
٣	الترجمان في لغة الانجليز والافرنسيس والايطاليان
١	تهذيب المرأة لباحثة البادية
٣	السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء

obeikandl.com

٥ اسباب ونتائج للمرحوم قاسم بك امين

٢ مطرب العاشقين مغنى بصور حديثة

٣ بلبل مصر مغني بصور حديثة

تطلب مطبوعاتنا

من مكتبة الاداب لصاحبها الحاج سيد محمد الكتبي والختام بمحطة باكوس بالرمل بجوار مسجد ابو شبانه بالاسكندرية وهو مستعد ايضاً للاعمال الكتابية على كافة انواعها ونقش اختام وخلافه باثمان زهيدة جداً

مكتب حسن افندي خلوصي

بحارة التهامي بشارع السكة الجديده بالاسكندرية

مستعد لكتابة ما يلزم من عرائظ وتوكيل دعاوي امام المحاكم وبمكتبه قسم فيه استعداد تام للتعليم ليلاً من عربي وخط وفرنساوي وانجليزي. فعلى من يرغب يشرف

اشهر مكتبة مكتبة علي محمود الحطاب الكتبي بالاسكندرية بحارة غطاس بجوار اجزخانة المعارف بالسكه الجديده